مجلة البيان – العدد 38 ، شوال 1411هـ / أبريل 1991م

الافتتاحية

دفاع عن المنهج (3)

لـم يـشـعـر السلمون أنهم بحاجة ، إلى منهج يضبط أقوالهم وتصرفاتهم كما يشعرون في هذه الأيام ، حيث أثبتت الأحداث الأخيرة أنه بغياب هذا المنهج ضاعت الرؤية الإسـلامـيـة الصحيحة ، وغاب الوعي عن خطورة الأعداء ، ووضح العجز عن اتخاذ موقف يـرضـي الله سبحانه وتعالى ، موقف تاريخي لتعلقه في بأحداث كبيرة لها شأن في مستقبل الأمة.
وللمرة الثالثة نعود لنؤكد أن المنهج الصحيح هو منهج أهل السنة ، فهو العاصم من الـزلل وهو الذي يهدي في حالك الظلمات ، هذا المنهج هو الذي جعل أبا بكر الصديق -رضـي الله عنه- يقف من حركة الردة ذلك الموقف الصلب حتى أذعن له بقية الصحابة ، وهـو الذي عصم الإمام أحمد حين تساقط كثير من الشخصيات، وهو الـذي جـعـل ابن تيمية يصمد للتتار في دمشق حين صمم أهلها على تركها خوفاً من الدمار الزاحف ، وحين فكر العلماء أنفسهم بترك دمشق ، وقد ذكرهم ابن تيمية بغزوة الأحزاب وأن النصر للمسلمين.
إن التمسك بهذا الميزان العادل والقسطاس ليس صعباً ولا هو من الأمور المستحيلة بل كما قال تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) فهو يسير على من يسره الله عليه ، وعسير على من لم يوفق لذلك لضعف في الرأي أو هوى خفي ، أو لجهل في فقه الكتاب والسنة ، ومبادئ الإسلام الكبرى في السياسة والحكم في الحرب والسلم ، وفي تقدم الأمم ورقيها ، وسنن الله في فشلها وذهاب ريحها.
إن هذا المنهج ليس للذين يقيسون الأمور بآرائهم، ويـسـمـونـها (اجتهاد) دون علم شرعي دقيق ودون فقه للولاء والبراء ، ولا هو للذين يبترون الـنـصـوص مع قلة معرفتهم بالواقع ومعرفة مناط الحكم ، والذين يتكلمون عن المصلحة لا يمـلـكـون وسائل الاجتهاد ، فكيف يجتهدون في أمور خطيرة؟! هلا استشاروا قبل أن يقدموا ، وهـلا دقـقـوا في تحقيق المناط والإحاطة بكل جوانب القضية ، وماذا يقول قادة الرأي وزعماء الأمة حـيـن يـتـركـون شعوبهم تتيه في بيداء الأوهام وهم المكلفون بقيادتها إلى مواقف العزة والكرامة ، وإذا كانوا هم الرواد فإن الرائد لا يكذب أهله.
إن الـتـمـسـك بالمنهج عند بعضهم كان نظرياً وعندما جاء التطبيق ابتعد كثيراً عن الأصل، بـل إن بـعـضهم لا يحبون امتلاك منهج ما لأن هذا يتعبهم ، وهم تعودوا التنقل حـسب المزاج وما يسمونه (المصلحة) وهل هناك مصلحة غير

مستنبطة من فقه الكتاب والــســـنـة وتــطــبـيـقـات هــذا الفقه عندما كان المسلمون يعيشون في ظل الاستعلاء الإيماني اللهم لا مصلحه إلا في هذا الفقه ولابد من العودة إلى هذا المنهج.

في إشراقة آية

((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ))

د. عبد الكريم بكار

طالما وقفت خاشعاً في محراب هذه الآيـة وطالما غمرني ضياؤها بأشعته الهادية حيث أودع الرحمن عز وجل في كلمات قليلة من المعاني الكريمة الفياضة ما يمدنا بالمفاهيم النيرة كلما اتسعت مساحات الوعي لدينا وكلما تعاظم رصيدنا من التجارب.

وسأقف مع القارئ الكريم وقفات عدة في إشراقة هذه الآية نغرف من معينها النمير.

الوقفة الأولى:

تـمـثــل هذه الآية مظهراً من مظاهر رحمة الله تـعـالى حين رضي منهم أن يطيعوه على قدر طوقهم وقـدرتهم؛ وهذا الأمر أحد أهم الأسس التي يرتكز عليها التشريع الإسلامي ، وهو في الوقت ذاتـــه أحد دعائم خلود الشريعة الغـراء إذ أن تصرف الأيام والليالي يأتي بما لا يحصى من الـظـروف والأحوال ، وحينئذ فـإن قدرات الناس على القيام بأمر الله تتفاوت تفاوتاً كبيراً ، خاصة لا يجد المفتي لها حكماً تفصـيلـيـاً يغطيها ، وتأتي هذه الآية لتمثل المنطلق الرحب والناموس الأعلى الذي يحكم فقه الضرورات، وفقه ارتكاب أخف الضررين ودفع شر الشرين ، وتشعر هذه الآية الكريمة المسلم الذي وقـــع في ظروف حرجة ضاغطة بالطمأنينة بالسلامة من الإثم ما دام اتقى الله ما استطاع ، كـــمــــا أنها تستنهضه لمقاومة الظرف الطارئ وبذل الوسع في الاقتراب من المركز أكثر فأكثر ، وهتـــو إذ يفعل كل ذلك يشعر برقيب ذاتي منبعه خشية الله سبحانه وتعالى.

الوقفة الثانية:

إن دوائر الاستطاعة تتسع على صعيدي القيام والعمل كلما اسـتطاعت الأمة أن ترقى صعداً في سلم الحضارة. أما على صعيد القيم فإن التقدم المادي والتـقـنـي يهيئ الظروف المناسبة لنشر القيم وحملها ، وإذا أخذنا قيمة (الحرية) باعتبارها واحــــدة من أخطر القيم المتفق عليها بشكل عام لوجدنا أن هذه القيمة ليست حالة يتصف بها الـفـرد أو دعوى يطلقها ، وإنما هي عملية مواكبة للإمكانات التي يحصل عليها؛ فإذا ما امـتـلـك الـــواحد منا ثروة

كبيرة من المفردات اللغوية وجد نفسه حراً في اختيار الألفاظ والأسـاليـب المـتـعددة التي تمكنه من نقل المعلومة التي يريد إيصالها لمخاطبيه مهما تفاوتت مستويـاتهـم الثقافية. ومن توفرت في بلاده فرص كبير للعمل بشروط ميسرة وجد نفسه قادراً عـلــى رفض ما يمكن أن يتعرض له من ظلم أو حيف من أرباب العمل وعلى رفـض مــــا يعده مهنة شاقة أو غير مناسبة ، وهو بذلك يجد أمامه مجالات واسعة للحركة وقدراً أكبر من الخيارات المريحة ، وقد عبر العرب قديماً عن هذه الحالة بمثل شائع حين قالوا: (من أخفض تخيّر).
وفي المقابل فكيف يمكن لمن بحث عن فرصة للعمل سنوات عدة حتى عثر عليها أن يتصرف كما تـصــرف الأول ، وأن يشعر بأنه قادر على أن يكون حراً يأبى الظلم ويعيش بعيداً عن القسر والقهر؟!!
وأمـا على الصعيد العملي فإن أكثر المخترعات أعطت جوارح الإنسان نوعاً من الامتداد في سلطانها وقـدراتـهــا؛ فالآلة مدت في سلطان اليد والطائرة في سلطان الرجل والهاتـف فـي سلطان السمع و(الرائي) في سلطان العين وهكذا..
ويترتب على اتـســاع دوائر الاستطاعة تعاظم المسئولية ووجود إمكانات جديدة للمزيد من التقوى وبهذا الاعـتـبــار فإن العمل لتحسين المناخ العام الذي يعيش فيه المسلم عبادة لله تعالى تهيئ الناس لمزيد مـــــن الطاعات والعبادات ، وإذا ما حدث خلل في الارتباط بين الاستطاعة والتقوى فإن ذلك يـعـني نوعاً من البغي الممقوت الذي يخل بالتوازنات العميقة بالفرد كما يستنزل المحن والعقوبات له.
وقد أشار النبي -صلى الله عليه وسـلـم- إلـى عقـوبة شيء من ذلك الخلل حين ذكر الملك الكذاب في جملة من لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكـيـهـم ، ولا ينـظــــر إليـهـم إذ أن السلطان ذو قدرات كبيرة فإذا لم يواكبها الصدق أحدث من الضرر ما لا تنفع معه رقـابـــة الرقباء! ولذلك استحق العقوبة التي تتناسب مع فعله.

الوقفة الثالثة:

لـكـــل منا طاقات محدودة ، ولكل منا طموحاته وأهدافه التي يرمي إلى تحقيقها في هذه الحـيـاة قبل أن يرحل وتنهي الإمكانات والطموحات؛ ومهما كانت قدرات الإنسان كبيرة فهي محـــدودة ، ونشاهد في كثير من الأحيان أن طموحاتنا أكبر من طاقاتنا ، وكثير منا يصاب حينذاك بالعجز والإحباط ويؤدي بنا هذا إلى البقاء في إجازة مفتوحة!!
وهـــذا مع علمـنا أن التكليف على قدر الوسع ، ولو أننا باشرنا ما هو ممكن اليوم لصار ما هو مـسـتـحـيـل اليوم ممكناً غداً ، ولنوضح هذا بمثال صغير ، فلو أننا عمدنا إلى طفل في الخامسة من عـمـــره لم يدخل المدرسة ،

وطلبنا منه كتابة اسمه لوجد أن ذلك بالنسبة له مستحيل ، فإذا علـمـنــاه كتابة حروف اسمه حرفاً حرفاً ، ثم علمناه الوصل بينهما لوجد أن ما كان مستحيلاً قبل ساعة صار الآن ممكناً وهكذا...
ونحن في كثير من الأحـيــان نطوف في المجلس الواحد في أنحاء العالم الإسلامي متألمين لما يحدث للمسلمين ، وشاكـيـن من التآمر عليه ، ثم ينفض المجلس على نحو ما انعقد عليه دون أن يستفيد مسلم من شـيء مـمـــا قـلـنــاه ، وذلك لأننا لم نباشر الممكن ، وإنما أذهبنا أوقاتنا في الحديث عن أمور لا حول لنا ولا طول في التأثير فيها!!
ولو أننا تحدثنا بما يصلح أمراً من أمور الحـي أو فـي كيفية جعل فلان من الناس يرتاد المسجد لكان ذلك أنفع للمسلمين وأبرأ للذمة من شيء مشغولة به.

الوقفة الرابعة:

إن النبي -صلى الله عليه وسلم- تـركـنــا على المحجة البيضاء ، ووقع التكليف من الله تعالي باتباع ذلك المنهج والتزامه على قــدر الوسع والطاقة ، وهذا التكليف سنة الله تعالى في الأنبياء -عليهم السلام- وسنة أمـمـهم؛ فقد مكث نوح -عليه السلام- يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين ، وكانت حصيلته في ذلـك وصـــــف الله تعالى:((وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ)) [هود 40] نعم إنهم قليل حملتهم سفينة واحدة ومـع ذلـك فـــإن نوحاً ظل رسولاً من أولي العزم الأبرار ، ذلك لأن المنزلة على مقدار الجهد الموافق للمـنـهـج الـمـنـزل ، وليس على مقدار ما يحقق من نجاح وفلاح.
ولكن الذي يحدث في بعض الأحيان أننا نضع أهدافاً معينة نريد الوصول إليها عاجلاً،ولو كانت هذه الأهداف تستدعي الضغط على المنهج أو القفز عليه أو الانحراف عنه ، وحيـن يـحــدث ذلك تفقد الدعوة انسجامها الذاتي كما تهتز الفلسفة النظرية التي تستند إليها؛ وربما أدى ذلك إلى استعمال وسائل غير مشروعة.
ولا يـعـني هــذا أن نعفي أنفسنا من عمليات المراجعة ، بل يعني أن المراجعة المطلوبة هي التأكد من موافقة أساليبنا ووسائلنا للمنهج الرباني الذي تعبدنا الله تعالى باتباعه والحركة على هديه.

من مشكاة النبوة

(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)

محمد المنجد

حـديــث من جـوامـع كلمه -صلى الله عليه وسلم-، مشتمل على آداب جمة، حتى عده بعض علماء الإســـلام أحـد أربعة أحاديث تتفرع عنها أبواب الخير ، وعده أبو داود -رحمه الله- أحد أربعة أحاديث يدور عليها مسنده.
-"مــن حـسـن" تربـويـة تورث في النفس التحفز لنيل المطالب العالية ، والوصول للكمال، ومحاولة تحسين المرء لإسلامه.
- وكلمة "ما" تدل على أن الحديث يعم جميع الأقوال والأفعال.
- وكلمة "ما لا يـعـنـيه" أي ما لا يهمه في دنياه وآخرته سواء كان في ذلك شؤون نفسه أم من شؤون الآخرين.
- وتحديد ما يعني منا يعتمد على الشرع ويستمد منه، كما يدل على ذلك إسلام الواردة، فليس الناس الذين يحددون ذلك بأهوائهم وشهواتهم، إذاً لفسدت السموات والأرض.

أولاً: نماذج مما لا يعني المسلم عموماً ، والداعية خصوصاً في أمر نفسه:

- أنواع اللهو واللعب التي تصد عن ذكر الله ويدخل فـيـهـا كـثـيـر مــن وســائـل الترفيه والتسلية اليوم كالأسفار التي لا يقصد بها غرض شرعي، كجـهـــاد أو دعوة إلى الله، أو هرب من أعداء الله ، أو دنيوي صحيح كالتجارة المباحة وطلب التداوي النادر.
- كثير من الهوايات المضيعة للوقت والمال ، كجمع التحف النادرة واللوحات الفنية التي تزخر بها بيوت الأثرياء ، ينفقون فيها الأموال الطائلة ، ويخصصون لها زوايا في بيوتهم.
ولنسائل أنفسنا بتجرد: ماذا تفيد هواية جمع الطوابع ، أو العملات والصور وغيرها من صلاح في الدين أو الدنيا؟
القراءات الفارغة ، وعند بعض الناس اليوم مضمونها جاهلي بعنوان (القراءة للقراءة) فيقرأ ولا يميز بين الغث والسمين ، والضار والنافع ، ومن أمثلة تلك القراءات:
قراءة القصص والروايات والمقالات الرديئة التي تثير الغرائز بالطرق المحـرمـة، أو تحـلـق بالقارئ في أجواء الخيال، أو تـورث فـي نـفـســه دافـع العـنـف والإجـــرام أو الإعجاب بشخصيات الكفار.
- الإفــراط فـي قـــراءة دقائق الأخبار وتفاصيلها التي لا تهم المسلمين ، ومتابعة الجرائد والمجلات المتكاثرة ووسائل الإعلام الأخرى ، وقد يدخل الشيطان على المسلم في ذلك من باب تكوين الوعي والإلـمــام بأمـــور السياسة العالمية ، والحق أن الناس يختلفون في هذا ويتفاوتون ، والشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده.

- القراءة في الكتب والمجلات ذات الاهتمامات التافهة،ككتب التراث الشعبي والمأكولات والأزياء المختلفة ، وأخبار الفن الفاجر، وكم أضر تلك القراءات بمن يفترض أنهن محاضن للجيل المسلم.
الخــوض في بعض مسائل تنسب للعلم ولا تبنى عليها فائدة في الدنيا ولا في الآخرة وليس إلى معرفتها سبيل صحيح فيها كبعض تفاصيل أخبار الماضين وآثارهم.
ومن مـسـؤولـيـة طالب العلم أن يفرق بين مثل هذا والتحقيقات العلمية المفيدة ، وعلى أية حال فكل مسألــــة لا يبنى عليها عمل ولا عقيدة (سواء أكان قول القلب أو عمل القلب أو قول اللسان أو عمل الجوارح، خلافاً لما يفهمه البعض عند ذكر مثل هذه القاعدة) فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه.
ولذلك نهي عن الأغلوطات ، وذم السلف المسائل وعابوها ، ومنها السؤال عما هو مستبعد الوقوع أو لا يقع عادة.
ويرتبط بما سبق ما يقع اليوم عـنـــد بعض الغثائيين في إنفاق الأوقات في تآليف وتحقيقات (زعموا) فائدتها لا تساوي الاشتغال بها وقيمة محتوياتها لا تساوي الورق الذي أنفق فيها.
أو الخوض في مسائل القضاء والقدر مـثـلاً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "إذا ذكر القدر فأمسكوا"..

ثانياً: نظرات فيما لا يعني المسلم الاشتغال به من شؤون الآخرين:

التدخــــل في خصوصيات الآخرين وشؤونهم مما لا يصادم الشريعة الإسلامية وليس مجالاً للأمر بالمـعــروف والـنـهـي عـن المنكر سلبية عمت الكثيرين وهي نابعة من غريزة الفضول وحب الاستطلاع.

ومن أمثلة هذا النوع:

- محـاولــة معـرفـة الأخبار الخاصة عن طريق الأسئلة الملحة المزعجة المتكررة، مـن أيـن جئت؟ وإلى أين ستذهب؟ ومن كان عندك في البيت؟... الخ.
التدخل المزعج بفرض الرأي على الشخص الأخر في الأمور العائدة إلى الذوق المباح،كطريقة ترتيب أثاث المنزل وألوان السلع المشتراة ونحو ذلك.
الـتـجـسـس بأنواعه وهو أخطرها ، وورد النهي المقتضي للتحريم عن جميع أنواع ووسائل التجسس عـلـى المسلم بكلمة واحدة من كتاب الله ((وَلاَ تَجَسَّسُوا)) كنهي الرجل أن ينظر في كتاب أخيه إلا بإذنه.
ولنا عند هذا الموضوع وقفات تندرج تحت ما يمكن أن نطلق عليه أصلاً من الأصول في هذا الموضوع ، وهذا الأصل هو أن التدخل يختلف حكمه باختلاف الأشخاص والأحوال.

مـن التدخل ما يكون دعوة إلى الله ونصحاً في الدين وليس تدخلاً فيما لا يعني، كـنـهـيـك الرجل عن منكر يفعله حتى ولو كان ضرره مقتصراً عليه يفعله وحيداً داخل بيته.
وهـنــــا يبرز أدعياء التحرر ويقولون هذا تدخل في الحريات الشخصية ، وهذا متوقع من أناس لا يفقهون مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن والسنة وأهميتها في دين الله ، ولـلـــــرد عليهم موطن آخر ، ويكفينا حديث البخاري -رحمه الله- في القوم الذين استهموا على سفينة.
ومنه ما يكون وجيهاً معتمداً على صلة القرابة فالأب والأم أو الإخوة لهم التدخل في أمور لا يصح أن يتدخل فيها غيرهم.
فمثلاً الأب الـصــالح يحق له معرفة أين كان ولده ، ومن يصادق ، وله عليه الولاية وحق التأديب.
ومن التدخل ما يكــون مـطـلــوباً معتمداً على الصلة التربوية بين المعطي والمتلقي ، والمربي والمربَى من أمور التربية والتـهـذيـب والتـعـلـيـم، إلا أن تدخــــل المربي في بعض الأحوال الشخصية لمن يربيه ضروري في تسديده وتقويم اعوجاجه. وتفـصـيـل هــذا طويل قائم على المصلحة الشرعية ، ويتضح في الواقع العملي ، وفي الإشارة العابرة ما يغني عن الكَلِم.
ومما يضبط التدخل أيضاً ، "درجة الاستفصال" عند السؤال ، فلو قابل رجـل أخاه المسلم فسأله أتزوجت أم لا فقال نعم فقال له بارك الله لك وبارك عليك... لَعُـــدَّ هذا أمراً حسناً من واجب سؤال المسلم عن أحوال أخيه المسلم ، أما لو زاد عن ذلك واستفصل مـنــه عــن شيء محرج؛ لَعُدَّ هذا تدخلاً مستهجناً.
وقـدوتـنـا عليه الصلاة والسلام كانت كل استفصالاته في موقعها ، تدل المسلم على خير أو تحذره من شر.
ولو استعرضـنـا مثلاً حديث جابر في البخاري لما سأله عليه الصلاة والسلام عمن تزوج بها أبكراً أم ثيباً فـقـال بـل ثـيـب فـقــــال عليه الصلاة والسلام: »فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك« فالسؤال هنا ليس تطفلاً أو مجرد حب استطلاع، حاشا وكلا، وإنما سؤال المعلم الذي يريد من وراء السؤال التوصل إلى نفع المسؤول.
ولمــــا عرف السلف حدود السؤال والتدخل ، ارتقت حياتهم الاجتماعية إلى مستويات لم يعرفها العالم من قبل.
فهذا سـعـيـــد بن المسيب -رحمه الله- لما زوج ابنته الجميلة الفقيهة من تلميذه الفقير ثم سأله كيف وجدت أهلك (سؤال عام) فقال بخير على ما يحب الصديق ويكره العدو ، لم يتدخل سعيد -رحمه الله- أكثر من ذلك وإنما قال إن رابك شيء فالعصا،والقصة مشهورة في السير للذهبي وغيره.

ومن التدخل ما يكون حسناً في الأمور الدنيوية المباحة ، كإبداء الخبرات والإشارة بالرأي من غير إلزام من باب تقديم النصيحة.

ولما جهل الناس اليوم حدود السؤال والتدخل ، انقسموا قسمين:

وقـــع الأول في الإفراط والثاني في التفريط ، قسم يدسون أنوفهم في كل شيء ، فجروا على حياتـهـم وحـيـاة غـيـرهم شـقـاء ونكداً. وقسم وقع في التفريط فلا يسأل عن أحوال إخوانه مطلقاً، فوقعت القطيعة وانقصمت عرى الأخوة.

ونتيجة لفقدان تمييز أواسط الأمـــور ، فقد فَقَدَ السؤال عن الحال والصحة الأهميةَ اليوم وأصبح أمراً شكلياً لا تأثير له في نفس السائل والمسؤول.

ومن تبلُّد الإحساس وخمود حرارة الإيـمـــان أن ينظـــر بـعـض الـمـسلمين اليوم إلى أحوال إخوانهم المستضعفين في الأرض والمنكوبين نظرة اللامبالاة والإهمال الـشـديـد لأن أمـرهم لا يعنيهم بزعمهم ما داموا بعيدين وما دامت القارعة لم تحل في دارهم، فـالاهـتـمـــام هـنـــا والاعتناء من حسن الإسلام ، والقاعدة عندنا: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وبالجملة فـقـد يـكـون التدخل واجباً مثل التدخل لتغيير المنكر ، ويأثم لو لم يتدخل وهو يستطيع.

وقد يكون التدخل مستحباً ، مثل التدخل لتحسين وضع أخيك في طريقة كلامه مثلاً .

وقد يكون التدخل مباحاً ، كسؤال إنسان هل سافر أم لا.

وقد يكون التدخل مكروهاً ، مثل سؤال رجل يتحرج في الجواب في أمر خاص به.

وقد يكون التدخل محرماً ، مثل التجسس على المسلم.

فالعلم الشرعي عامل أساسي للتدخل من عدمه.

تتمة وقفة البوطي مع ابن تيمية (*)

عبد القادر حامد

مـــر مـعـنـــا في المقال السابق تصوير البوطي لابن تيمية، وقد كانت تلك الصورة على ما قد بيناه من اســتـهـــزاء وبعد عن الإنصاف ، وحطة في الأسلوب تعكس نفساً قلقة بعيدة عن الاتزان.

وقد حاول البوطي جـهـده في رسمه تلك الصورة أن يضع في وهم قرائه أن ديدن ابن تيمية هو هكذا: اضطراب وتــطــويح وتـناقض ، وصال وجال مشيراً إلى هنة هنا ، وهنة هناك، مما يعتبره هو مآخذ على ابن تيمية ، ولكن حينما

أحس أن هذه الهنات قد لا تقنع قراءه برأيه في ابن تيمية هز كتفيه ونفض كنانته؛ فأخرج منها هاتين الفقرتين:

1- المسألة الأولى:

تعليق لابن تيمية على كتاب (مراتب الإجماع) لابن حزم.

2- المسألة الثانية:

رأي ابن تيمية في مسألة الكسب عند الأشاعرة.

أما المسألة الأولى؛ فهي مسألة حاول أعداء ابن تيمية قديماً وحديثاً أن يستخدموها للـنـيل منه ، فراشوا بها سهامهم ، والبوطي يسير على هدي الكوثري عند تعرضه لهذه المسألة، ورأي الـكـوثــري في ابـن تـيمية معروف ومشهور. أما تحليل هذا الموقف وأسبابه فلا زال يحتاج إلى مزيد من إلقاء الضوء عليه ، لأن نتائج هذا التحليل لها صلة بالمنهج العام الذي تقبل بمقتضاه الأقوال أو ترد ، ويقوم على أساسه فهم المسلم لتاريخه الفكري ، وتتضح على ضوئه المؤثرات التي كان لها فعل سيئ في حياة المسلمين خلال القرون الماضية. وشـخـص كالـكـوثري في تركيبته الفكرية وخلفيته التربوية لا يمكن إلا أن يكره ابن تيمية وكل ما جاء به.

فابن تيمية لــه رأي فذ في العلاقة بين العرب والإسلام ، وارتباط الإسلام باللغة العربية ، ويرى أن كره العرب نفاق ، هذا مع أنه يقول: "فضل الشخص لا يستلزم فضل الجنس"، والـكـوثـري أبسط ما يقال فيه من هذه الناحية أنه شعوبي ، وشعوبيته قد أدخلته مداخل صعبة وعنته عناء يعرفه من قرأ له.

وابن تيمية حر التفكير، حرب على التقليد والجمود، لا يسير خطوة دون الاهتداء بالدليل والكوثري مقلد جامد ومتعصب ضيق العطن، حبس نفسه في حدود المذهب الحنفي، ويرى أن الإسلام هو هذا المذهب فقط ، فهو لذلك حرب على الشافعية ، والمالكية ، وسم زعاف على الحنابلة ، أما كبار علماء الحديث فأقل ما يقوله فيهم أنهم "حشوية" ، أما ما يقوله في كل واحد منهم على انفراد: من تجن وتحامل وتعسف، ومن تهم باطلة، ومن بعد عن منهج العلماء في النقد؛ فأمره مشهور وشرحه يطول. وهكذا فقد حجّر واسعاً ، ورسم لنفسه دائرة ضيقة من دخلها فهو منه ، ومن لا فلا!

هــذا هو الكوثري الذي يسير البوطي على خطاه ، فهل مثل هذا الصنف من يقبل قوله في خصمه؟! أخصم وحكم؟!

ولـنـعــد الآن إلى المسألة التي اعتبرها البوطي مقتلاً من مقاتل ابن تيمية ، وهي ما جاء في تعليقه على مراتب الإجماع لابن حزم والتي قامت لها قيامة البوطي.

ونريد أن نناقش بعض ما ساقه من الدعاوى واحدة واحدة باختصار، فنقول:

هــل صـحـيـح أن ابـن تيمية "يكفر خصومه لأدنى المواقف الاجتهادية التي قد يخالفهم فــيـهــا"؟! لم يسق لنا البوطي دليلاً واحداً على ذلك ، بل إن هذه

المسألة التي اهتم لها وحشد لها بـعــض ما في جعبته من رخص التهم العشوائية دليل على أن ابن تيمية ليس ممن يهجم بالتكفير لأدنى المواقف الاجتهادية التي تخالف رأيه. ولينظر الشيخ البوطي في هذه المسألة هـــادئ النفس والنَفَس وسيتبين له ذلك. وكذلك فإن لابن تيميه كلاماً في غير موضع من كتبه يدلي بصريح العبارة على عكس ذلك ، فمن ذلك قوله:
"... هذا مع أني دائماً - ومن جالسني يعلم ذلك مني - إني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة؛ وفـاسـقـاً أخرى ، وعاصياً أخرى ، وأني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها ، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية ، والمسائل العملية" [مجموع الفتاوى 3/299]. ومن ذلك أيضاً قــولـه:" مما يصلح أن يكون ضابطاً للتكفير "، ودرساً للذين يلقون الكلام على عواهنه-:
"ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه ، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة ، فإن الله تعالى قال: ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَـــلائِـكَـتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ)) وقــد ثـبـــــت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم.
والخوارج المارقون الذين أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم قاتلهم أمــيــر المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الــصـحـابـة والتابعين ومن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقـــــاص وغيرهما من الصحابة ، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم ، ولم يقاتلهم حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين ، فقاتلهم بدفع ظلمهم وبغيهم لا لأنهم كفار. ولهذا لم يسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.
وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بقتالهم ، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها ، وإن كانت فيها بدعة محققة ، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه.
والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمه من بعضهم على بعض لا تحل إلا بإذن الله ورسوله. قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما خطبهم في حجة الوداع: »إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا« وقال -صلى الله عليه وسلم-: »كل

المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه« وقال -صلى الله عليه وسلم-: »من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ذمة الله ورسوله« وقال: »إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار« ، قيل: يا رسول الله؛ هـذا الـقـاتـل ، فما بال المقتول؟ قال: »إنه أراد قتل صاحبه« وقال: »لا ترجعوا بعدي كـفـــاراً يضرب بعضكم رقـــاب بعض« ، وقال: »إذا قال المسلم لأخيه يا كافر! فقد باء بها أحدهما« ، وهذه الأحاديث كلها في الصحاح.
وإذا كان الـمـسـلـم مـتـــأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك كما قال عمر ابن الخطاب لحاطب بن أبي بلتعة: يـــا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »إنه شــهــد بـــدراً ، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟« وهذا في الصحيحين.
وفيهما أيضاً: من حديث الإفك: أن أســيــد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين ، واختصم الفريقان ، فـأصـلـح النبي -صلى الله عليه وسلم- بينهم. فهؤلاء البدريون فيهم من قال لآخر منهم: إنك مـنـافـق ، ولم يكفر النبي -صلى الله عليه وسلم- لا هذا ولا هذا ، بل شهد للجميع بالجنة.
وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة ببن زيد أنه قتل رجلاً بعد ما قال لا إله إلا الله ، وعظم النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك لما أخبره ، وقال: »يا أسامة ، أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟« وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ. ومع هذا لم يوجب عليه قوداً ، ولا دية ولا كفارة ، لأنه كان متأولاً ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوذاً.
فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضاً من أهل الجمل وصفين ونحوهم وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالى: ((وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)) فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم ، وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون ، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.
ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين؛ لا يعادون كمعاداة الكفار ، فيقبل بعضهم شهادة بعض ، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض؟ مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك.
وقد ثبت في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل ربه »أن لا يهلك أمته بسنة عامة فأعطاه ذلك ، وسأله أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطاه ذلك ، وسأله ألا يجعل بأسهم بينهم فلم يعطه ذلك« وأخبر أن الله لا

يسلط عليهم عدواً من غيرهم يغلبهم كلهم حتى يكون بعضهم يقتل بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً.
وثبت في الصحيحين لما نزل قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ)) قال: »أعوذ بوجهك« ((أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ)) قال: »أعوذ بوجهك« ((أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ)) قال: »هاتان أهون«.
هذا مع أن الله أمر بالجماعة والائتلاف ، ونهى عن البدعة والاختلاف ، وقال: ((فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)) وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: »عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة« وقال: »الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد« وقال: »الشيطان ذئب ، الإنسان كذئب الغنم والذئب إنما يأخذ القاصية والنائية من الغنم« [مجموع الفتاوى 3/283-286].
وكذلك يشير إلى ضوابط تكفير أهل البدع في 3/353 من مجموع الفتاوى فليراجع.
فلا ندري بعد ذلك ماذا سيقول الشيخ في هذه النصوص من أقوال ابن تيمية ، لعله يهز كتفيه ويقول: يعني ماذا؟ لقد أثبتنا في كتابنا هذا أن ابن تيمية متناقض! وعندها يكون السكوت أفضل.
وبعد أن سقنا من أقوال ابن تيمية ما يكذب الدعوى بأنه "يكفر خصومه لأدنى المواقف الاجتهادية التي يخالفهم فيها"؛ نقول أيضاً: إن هذه المسألة التي يتواصى بها خصومه شاهد على عكس ذلك ، أي على أن ابن تيمية يتريث ، ويبحث ، ويتوثق قبل أن يحكم. ويتحرج من إلقاء تهمة الكفر ، أو إعلان الإجماع عليها دون تثبت. فكيف ذلك؟ فلننقل عبارة ابن تيمية التي نقلها البوطي ، وتحكم فيها ما تحكم ، وحذف منها ما حذف ، وفهم منها ما فهم ، وسخر منها ما سخر ، ولنضعها بين حاصرتين ولننظر فيها نظر من يريد أن يفهم؛ لا من يريد أن يصطاد ويشوه.
يقول ابن تيمية:
"قلت: أما اتفاق السلف وأهل السنة والجماعة على أن الله وحده خالق كل شيء فهذا حق. ولكنهم لم يتفقوا على كفر من خالف ذلك ، فإن القدرية الذين يقولون: إن أفعال الحيوان لم يخلقها الله؟ أكثر من أن يمكن ذكرهم من حين ظهرت القدرية في أواخر عصر الصحابة إلى هذا التاريخ. والمعتزلة كلهم قدرية ، وكثير من الشيعة ، بل عامة الشيعة المتأخرين ، وكثير من المرجئة والخوارج وطوائف من أهل الحديث والفقه نسبوا إلى ذلك منهم طائفة من رجال الصحيحين. ولم يجمعوا على تكفير هؤلاء". [نقد مراتب الإجماع 168].
ما معنى هذا؟

إن هذا النص سيق أصلاً للرد على من ادعى إجماع السلف من أهل السنة والجماعة على تكفير من خالف هذه المقدمة: "الله وحده خالق كل شيء ". فالمسألة هنا ليست مسألة إثبات هذه الحقيقة ونفي عكسها؛ وإنما هي إثبات دعوى الإجماع على أمر آخر ، وهو تكفير من قال قولاً يخالف ما انطوى عليه هذا العموم ، فالسلف وأهل السنة والجماعة الذين اتفقوا على أن الله خالق كل شيء؛ لم يتفقوا على تكفير من خالف ذلك ، أي إن منهم من كفر؛ ومنهم من لم يكفر. ثم استطرد ابن تيمية مفصلاً ، فذكر من هؤلاء الذين لم يجمع السلف على تكفيرهم: القدرية ، وكثير من الشيعة ، بل عامة الشيعة المتأخرين ، وكثير من المرجئة والخوارج ، وطوائف من أهل الحديث والفقه ، بل وبعض رجال الصحيحين نسب إليه القول بأن: "أفعال الحيوان لم يخلقها الله ".

إذن؛ هناك رجل (وهو ابن حزم) يقول: اتفق السلف على كفر من خالف القول بأن الله خالق كل شيء.

ورجل ثان (وهو ابن تيمية) يقول: لا ، لم يتفق السلف على كفر من خالف ذلك: فمنهم من كفر ، ومنهم من لم يهجم بالتكفير.

ورجل ثالث (وهو الكوثري) ، يتتبع الثاني بما لا طائل تحته.

ورجل رابع (وهو البوطي) يؤيد الأول ، ويستصغر بالثالث ، ويتهم الثاني "بالخلط والتخبط" طبقاً لمبدأ "رمتني بدائها وانسلت"!

أما الأول: فساق القضية مجردة عن الدليل ، على سبيل التعداد.

وأما الثاني: فذكر أدلته فقال: دليلي على أن لا إجماع على القول بالتكفير لمن خالف منطوق أن الله خالق كل شيء أنني وجدت طوائف من المسلمين (وسماهم) لم يتفق السلف وأهل السنة والجماعة على تكفيرهم ، بل تنازعوا في كفرهم ، ومعلوم أن ابن تيمية ينقل ما يعرف ، وهو الذي عاش في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن ، ومن يدري فلربما لو كان البوطي معاصراً ، له وبلغه قوله هذا لأثبته ، كأن يقول: أما ما قاله البوطي في كتابه السلفية(ا): "غير أنني ما سمعت وما رأيت إلى هذا اليوم أن القدرية يعتقدون أن أفعال الحيوان لم يخلقها الله ، وها هي ذي كتب الفرق والملل والنحل أمامنا ، ولم أجد في شيء منها مثل هذا النقل عنهم" فيقال له: ما دامت كتب الفرق والملل والنحل أمامكم فافتح منها الجزء الثالث من: (الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم) ص 54 واقرأ:

"قال أبو محمد: اختلفوا في خلق الله تعالى لأفعال عباده ، فذهب أهل السنة كلهم ، وقل من قال بالاستطاعة مع الفعل؛ كالمريسي ، وابن عون ، والنجاربة ، والأشعرية ، والجهمية ، وطوائف من الخوارج ، والمرجئة ، والشيعة؛ إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة ، خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها. ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة: ضرار بن عمرو

، وصاحبه أبو يحيى حفص الفرد. وذهب سائر المعتزلة ، ومن وافقهم على ذلك من المرجئة ، والخوارج والشيعة إلى أن أفعال العباد محدثة ، فعلها فاعلوها ، ولم يخلقها الله عز وجل".
فماذا عسى البوطي يقول بعد ذلك؟ أيصر على تكذيب ابن تيمية ويجمع إليه تكذيب ابن حزم الذي يدافع عنه؟ هذا لا يكون! لأن القضية تسقط برمتها حيث سقط موضوعها.
لقد كان البوطي في غنى عن هذه النهاية التي انتهى إليها لو أنه قرأ كلام ابن تيمية كاملاً (2) ، ولم يحذف منه ما حذف ومع ذلك تراه يقول: "هذا هو كلام ابن تيمية بطوله"! ، والقارئ يعجب ويحار في تفسير هذا الحذف في هذا الموضع: هل هو الحرص على تكذيب ابن تيمية وعدم الثقة فيما ينقل ، مع أن الرجل لم يرمه أحد من خصومه بالكذب والتقول ، وخاصة في نقل آراء الناس والفرق ، بل المشهور عنه أن الناس تضبط ما عندها من آراء الفرق والمذاهب على نقله. أم لأنه ذكر الشيعة فيمن ذكر ممن يقول بخلق أفعال العباد؛ فخاف البوطي من تبعة النقل ، أو جامل على الأقل ، عادّاً ذلك من الحكمة مثلاً ! أم هو دافع العجلة والتسرع وغليان الدم؟ الله أعلم أي ذلك كان!
إن الشيخ يثير الشفقة حقاً.
يثير الشفقة حينما يحرص على أن يصم ابن تيمية بالتناقض.
ويثير الشفقة حينما يخلط اجتهاداته بكلام الكوثري.
ويثير الشفقة حين يقول: "ودونك فاستعرض ما هو مدون في مجموع فتاوى ابن تيمية تجده يكرر الحكم بتكفير من ينساق وراء أحد هذين الوهمين في كل مناسبة".
ويثير الشفقة حينما يعد بنقل بعض من تلك النصوص ، لكنه لم يفعل ، ولكن؛ ألم يعلق الأمر على مشيئة الله؟! إذن ، فلا لوم عليه!
تبقى مسألة أخيرة تتعلق بهذا الجدل غير المتكافئ ، فالقارئ لتعليق البوطي يخرج بنتيجة وهي أن ابن تيمية يرى رأي هؤلاء الذين يقولون: "إن أفعال العباد محدثة ، فعلها فاعلوها ، ولم يخلقها الله عز وجل".
بل يفهم القارئ - من حدته وخوضه يميناً وشمالاً - أن لا أحد يقول بهذا القول إلا ابن تيمية ، وهذا واضح من نفيه أن يكون أحد قد قال بذلك ، وأنه "ما سمع ولا رأى" ، لا هو ولا العلامة المحقق الكوثري (3) أن القدرية يعتقدون ذلك ، ولا يدري أن رأي ابن تيمية فيمن يقول بهذا القول يوجد في غير هذا الوضع الذي يختص - فقط - في بيان حقيقة بعض الإجماعات التي يدعيها بعض الناس؟ وقد أشار رحمه الله إلى ذلك بعبارة تبين مقصوده ، وتدفع كل توهم فقال: "والمقصود هنا الكلام على ما يظنه بعض الناس من الإجماعات ". أي لا مجال هنا لتفصيل القول فيمن قال بالتكفير ومن لم يقل ، لكن "الهوى يعمي

وبصم" كما كتب الكوثري في واحد من تعاليقه ، وما أصدق هذا القول فيه وفي من يمشي على خطاه.
ويدعي أيضاً أن ابن تيمية "يمارس سعادة ولذة كبيرة في نقده معظم الأئمة والعلماء".
والجواب على ذلك: أما أن ابن تيمية ينقد كثيراً من العلماء فهذا حق ، ولا حرج عليه في ذلك إن شاء الله ، فلم يزل العلماء ينقد بعضهم بعضاً ويرد بعضهم على بعض ، وهذا مما يفتخر به الفكر الإسلامي ، ونعتبره مظهراً من مظاهر حرية الفكر التي طبعت هذا التاريخ ، وأما أنه يمارس سعادة ولذة كبيرة في النقد فهذا يحتاج إلى بينة: إما من إقرار ابن تيمية نفسه؛ كأن يقول مثلاً: ما أسعدني حين أنقد عالماً! أو: ما ألذ الهجوم على فلان من العلماء؛ أو ما في معنى ذلك! أو أن ينقل لنا البوطي شيئاً مما نقد به ابن تيمية غيره ، ويضع أصابعنا على تلك السعادة وتلك اللذة! وحيث إنه لا إقرار من ابن تيمية ، بل عكس ذلك كثير ومثبوت في تضاعيف مؤلفاته؛ ولا نقل من البوطي ، ولم يدع هو لنا -كما لم نعهد عنده - القدرة على التدسس في مشاعر وأحاسيس ونوايا غيره؛ فستظل هذه دعوى لا تضر إلا مدعيها.
ويتطرف البوطي في أوهامه وتقديراته ، فيرى أن ابن تيمية يستسيغ ويستجيز تبرئة الفلاسفة القائلين بقدم العالم من الكفر إذا كان في ذلك وسيلة لتخطئة ابن حزم وبيان جهله! وهذه عبارته:
".. إذ لما كان في الانتصار لمذهب الفلاسفة في هذه المسألة ، بإبعاد تهمة الكفر عنهم بسببها على أقل تقدير ، ما يظهر ابن حزم في الإجماع الذي نقله ، في مظهر المخطئ المتسرع الذي لا يتثبت في الأحكام ، فلقد كان للجنوح إلى مذهب الفلاسفة وتهوين القول بالقدم النوعي للمادة ، ما يبرره! ولعل - من أقوى المبررات في نظره وشعوره (4) أن يصل إلى تخطئة ابن حزم وبيان جهله! " [كتابه ص 173].
وحتى يكتمل عجبنا من هذه الجرأة ، (ونستحي أن نسميها بغير هذا الاسم) لنستمع إلى رأي ابن تيمية بابن حزم الذي يدافع عنه البوطي هذا الدفاع المبطل ، ويرى أن ابن تيمية يستحل الكفر إذا كان ذلك سبيلاً إلى ماذا؟! إلى أمر بسيط بالنسبة للكفر؟ تخطئة ابن حزم وبيان جهله! يقول ابن تيمية معقباً على ذم العلماء لابن حزم بسبب اتباعه الظاهر ، ونفيه المعاني في الأمر والنهي والاشتقاق ، وما في كلامه من الواقعية في الأكابر ، والإسراف في نفي المعاني ، ودعوى متابعة الظواهر:
"...وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة ما لا يدفعه إلا مكابر ، ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال ، والتعظيم لدعائم الإسلام ولجانب الرسالة ما لا يجتمع مثله لغيره. فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح ، وله من التمييز بين

الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف ما لا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء" [مجموع الفتاوى 19/4-20].
ولا ندري بعد هذا كيف نوفق بين هذه الشهادة التي يشهدها ابن تيمية في ابن حزم ، وبين الشهادة التي يستخلصها البوطي ويقول: إنها ديدن ابن تيمية لا مع ابن حزم بل مع معظم الأئمة والعلماء! والأعجب من هذا أنه يعتبر هذه الافتراءات والترهات التي أوصله إليها تفكيره دفاعاً عن ابن تيمية حيث يقول: "ولعل خير دفاع عنه (عن ابن تيمية) في تحليل أسباب هذا التناقض العجيب الذي تلبس به ، أن نتذكر طبيعته النقدية لمعظم الأئمة والعلماء ، حتى لكأنه يمارس سعادة ولذة كبيرة في ذلك". أرأيت إلى هذا الدفاع؟! ألا يذكرك بتسمية هجوم إسرائيل وإغارتها على ما حواليها من الدول واحتلالها أرضها دفاعاً؟!
بل لا يستحي من تكرار هذا المعنى عندما يقول: "إن هذا التحليل لهذا الاضطراب المتناقض (5) في موقف ابن تيمية في هذه المسألة هو - بنظري - أقرب ما ينسجم مع الدفاع عن عقيدته الإسلامية التي لا نحب أن نرتاب فيها" والحمد لله على أن وضع هذا الاحتراس:(بنظري) في ثنايا هذه النتيجة التي وصل إليها ، فهو احتراس جميل بقدر ما هو منصف ، حيث لم يسد الباب أمام أنظار أخرى تقرأ لابن تيمية وتحكم عليه.

المسألة الثانية: نظرية الكسب:

ينسب البوطي لابن تيمية مخالفته عامة أهل السنة والجماعة. ومن يسميهم عامة أهل السنة والجماعة هنا هم الأشاعرة.
وعلى عادة البوطي في الإيهام والعبارات الملتوية ، يدعي على الخصم ادعاءات ، ثم يبني على هذه الادعاءات نتائج ، ثم يضع هذه النتائج في قوالب المسلمات التي لا تقبل الجدل كما فعل هنا. فبعد أن أشار إلى رأي الفلاسفة القدماء من أن الأشياء تكمن فيها أسباب ذاتية بالطبع؛ وإلى رأى بعض الفلاسفة "الإسلاميين" كالفارابي وابن رشد من أن الأشياء فيها أسباب أودعها الله فيها؛ ويضع قاسماً مشتركاً بين أولئك وهؤلاء ، وهو أن في الأشياء فاعلية كامنة في ذاتها تسمى العلة أو السبب ، ليصل إلى نتيجة موافقة ابن تيمية - القائل بالأسباب - للفلاسفة ، وهذا ما لا يغتفر.
ومن حيث الأصل فإن الحكم بصحة الرأي لا ينبني على موافقته لهذا الفريق من الناس مهما كانوا ، أو عدم موافقته ، بل لا بد أن يكون هذا الرأي صحيحاً في نفسه حتى لو أعرض عنه من أعرض ، أو أخذ به من أخذ ، ولكن العجب لا ينقضي من البوطي الذي يتجاوز عن الغزالي في تبنيه منطق اليونان برمته ، وحكمه "أنه من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه أصلاً (6) ، بل يقرر أن ذلك ما هو جدير أن يشكره عليه ابن تيمية وغيره؛ فإذا ما قال ابن تيمية برأي وتبين أن للفلاسفة قولاً يوافقه كانت جريمة ، وأي جريمة!

نقول هذا ونتحفظ كثيراً على أن ابن تيمية وافق الفلاسفة ، فهكذا أراد البوطي ، وإلا فابن تيمية يرى رأيه مستنداً قبل كل شيء وبعده إلى الكتاب والسنة - وهذا شأنه دائماً - وحتى في هذه المسألة فإن رأيه في غاية الوضوح والسطوع ، ولا يعكر عليه إلا الابتسار والتشويه والتدخل المغرض في ليِّ عباراته والتقول عليه ، وبتر ما يدفع أي شبهة في فكر الرجل وعقيدته ، وكمثال على هذا البتر المغرض فإن البوطي نقل عنه قوله:
"ومن قال: إنه يفعل عندها لا بها ، فقد خالف ما جاء به القرآن ، وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع ، وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان التي يفعل الحيوان بها ، مثل قدرة العبد". فسكت البوطي هنا ، ووقف ، ووقوفه مريب جداً حيث إن تتمة الفقرة تقول: "كما أن من جعلها (أي الأسباب) هي المبدعة فقد أشرك بالله وأضاف فعله إلى غيره". [مجموع الفتاوى 3/112] واستبعاد هذه العبارة من الاستشهاد يهدم تهويلة البوطي من أساسها من أن "ابن تيمية يثبت بكلامه هذا العلة الأرسطاطاليسية صراحة (!) ويكرر نظرية الغريزة بمعناها الفلسفي الذي يعطي المادة فعالية ذاتية مستقلة. وبتعبير أدق: إن ابن تيمية يثبت من خلال كلامه هذا في السبب (ماهية) هي في الحقيقة مسبب السبب (!) ، وبهذا يخرج ابن تيمية هنا عن روح المذهب الإسلامي ، ويعتنق أكبر الأفكار التي يقوم عليها المنطق الأرسطاطاليسي كما يقرر الدكتور علي سامي النشار". [كتابه 175].
ومرة أخرى ننبه إلى أنه هنا خلط كلامه بكلام النشار ، فبينما يبتدئ الفقرة فتظن أن هذا كلامه؛ إذا به يختتمها محيلاً على النشار ، لكن أين ينتهي كلامه؛ وأين يبدأ كلام النشار؛ فهذا غير مهم عنده.
ونحن هنا ننقل عبارة النشار للمقارنة ، فهو يقول:
"..أو بمعنى موجز إنه أثبت العلية الأرسطاطاليسية (زاد البوطي هنا: صراحة!) فأثبت بقوله هو الغريزة أو النحيزة ، أو الخلق (اجتهد البوطي هنا فأضاف كلمة: نظرية ، وأضاف القوسين ، وأضاف جملة: بمعناها الفلسفي الذي يعطي المادة فاعليه ذاتية مستقلة. وهذا حتى يثبت إضافته على ما جاء به النشار ، فكم ترك الأول للآخر) أو بمعنى أدق: أثبت في السبب "ماهية" وجوهراً هو مسبب السبب (عبارة البوطي:(ماهية) هي في الحقيقة مسبب السبب)! وبهذا خرج عن روح المذهب الإسلامي ، واعتنق أكبر الأفكار التي يقوم عليها المنطق الأرسطاطاليسي"(7).

البوطي والنشار:

لابد هنا من كلمة تضاف حول النشار ، نضعها لما لها من مساس بمنهج البوطي ، فقد قرأت ما كتبه النشار في كتابه (مناهج البحث عند مفكري الإسلام) وخاصة ما كتبه عن الغزالي وابن تيمية ، ووجدته في الأغلب ينصف الرجلين ، ولا يجانبه الصواب إلا في هذا الـرأي الذي يقّوِّم فيه رأي ابن تيمية

في نظرية (الأسباب) ، والنشار بالدرجة الأولى دارس فلسفة، وقد يكون معذوراً في اعتباره أن أهل السنة والجماعة هم الأشــاعرة فقط ، وأن مـن خالف الأشاعرة فقد خالف أهل السنة ، وأن نصيبه من الاعتماد على الأدلة -الشــرعية في بحثه قليل إن لم يكن معدوماً. وإنما قصاراه أقوال يجمعها لهذا وذاك ، ومقـارنات بين آراء فلاسفة اليونان والغرب؛ وفلاسفة المسلمين ، وعلى هذا فإذا قال ما قال بحكم التقليد فهذا ما أداه إليه علمه، على أن له في تقييم تراث ابن تيمية ما يغضب البوطي ويضيق به صـــدره، فـهـــو القائل في ابن تيمية:"وليس هناك في الحقيقة من تكلم - فيما قبل العصور الحديثة بما تكـلــم به ابن تيمية. لقد وصل حقاً إلى أوج الدرج في فلسفة المنهج التجريبي بنقده للمنطق اليوناني القياسي ، وبدعوته إلى المنطق الإسلامي التجريبي ، وعبر عن روح الحضارة الإسلامية الحقة في عصر الانهيار الحضاري الإسلامي الذي عاش فيه". (8)
ويقول في كتاب ابن تيمية: "الرد على المنطقيين":
"أعظم كتاب في التراث الإسلامي عن المنهج، تتبع فيه مؤلفه تاريخ المنطق الأرسطاليسي والهجوم عليه ، ثم وضع هو آراءه في هذا المنطق في أصالة نادرة وعبقرية فذة"(9).
من المؤكد أن الشيخ البوطي قد مر على هــذه الآراء في كتاب النشار ، ولكن لم يختر إلا ما يوافق هواه بغض النظر عن صحته. وكمقارنـــة بين الرجلين: النشار والبوطي؛ فإن النشار يكتب عن ابن تيمية بعقلية العالم الحيادي ، وحـتـى لــو أخطـأ في بعض آرائه فلا يمنعه التعصب والهوى أن يعلن ما يعتقد أنه صواب ، وما يبدو من خـطـئــه فمرجعه إلى ما ألفه واعتاده من آراء ، أما البوطي فيكتب عن ابن تيمية بعقلية الذي يصيح: يالثارات الغزالي، وعـلـم الـكـــلام، وابن حـــزم، والصـوفـيـة، وابن عربي، ونظرية الكسب، يالثارات كل الأشخاص وكل المسائل التي تعرض لها ابن تيمية وعصف بها. وفي الجملة؛ فمن الصعب عليه أن يـنـصـف من يرى أن مصلحته في الهجوم عليه، إنــه قــد يـوهـمـــك أنه يحاول الإنصاف، ولكن طبيعته لا تطاوعه في ذلك ، وهذه كتبه هل ترى فيها شيئاً مـــن إنصاف من ينزل بساحتهم ، بل هذا كتابه (السلفية) اقرأه وقلب النظر فيه ، فإنك لن تـعـثـر فيه على رائحة إنصاف.
ومما عرضناه حول هاتين المسألتين اللتين جاء بـهـمـــا البوطي ليستدل على تخبط وتناقض ابن تيمية تبين لنا: من المتخبط ومن المـتـنـاقـــض؟ على أن عدم الأصالة في الفهم؛ وعدم إصابة المعنى الصحيح للكلام قد تغتفر، فالناس فهوم وطاقات. لكن الذي لا يغتفر هو البعد عن الأمانة في النقل ، وتحريف الكلام ليوافق الهوى.

وكلمة أخيرة: فالبوطي ليس مبدعاً في التعرض لهاتين المسألتين: لا من حيث اختيارهما؛ ولا من حيث معالجتهما. ولم يفعل سوى أن دلل على قدرة لا يحسد عليها في ادعاء اجتهادات ليست له ، ويا ليتها كانت اجتهادات صحيحة! إذن لهان الخطب! ولكنها اجتهادات خطأ فأصبحت بتبني البوطي لها وتعليقه عليها خطأ مركباً.

الهوامش:

*سقطت من عنوان المقال في العدد الماضي كلمة: (البوطي) خطأ ، فنرجو المعذرة.

1 - ص 166.

2- الدفاع لعدم إثبات بقية الكلام هنا ليس العجلة ، بدليل أنه ساق بعد ذلك قطعة من كلام ابن تيمية ، لكن بعد إسقاط الفقرة التي ساق فيها ابن تيمية أدلته وأسماء الفرق المخالفة.

3- ما أرخص الألقاب التي تكال جزافاً في سوق العلم!

4- حتى شعور ابن تيمية يدعي البوطي الإحاطة به!

5- لم استطع هضم ولا فهم: (الاضطراب المتناقض) ، وأرجو ممن يأنس من نفسه القدرة على فهم هذه العبارة تفهيمي إياها

6- مناهج البحث للنشار 172 نقلاً عن المستصفى للغزالي 101/1

7- اختار البوطي الفعل المضارع: يخرج ويعتنق ، ولعل ذلك للدلالة على الاستمرار ، وليطبع الكلام بأسلوبه المميز!!

8- مناهج البحث للنشار 270- 271

9- مناهج البحث للنشار 369

خواطر في الدعوة

إنَّه أمر الله

محمد العبدة

كـنـا نـقــول في السنوات السابقة: إن المسلمين لا ينقصهم الإخلاص، وإنما جاء الضعف والتقصير من جـانب قـلة الصواب ومعرفة سنن الله في التغيير ، وهذا الكلام - بمجمله - مازال صحيحاً، ولكن عند التدقيق سوف نجد أن الإخلاص أيضاً تشوبه شوائب، ويحول حـولـه حـوائــل، من أعظمها حب الرئاسة، هذا الداء العضال الذي أهلك الناس قديماً وحديثاً، حتى قيل إنه آخر داء يخرج من قلوب العلماء، فكيف بالدهماء وأصحاب الأهواء و(مجانين الزعامة).

وهذا الداء وإن كان غريزة في جميع البشر، إلا أنه قد يكون أظهر وأوضح في بعض الشعوب والعرب حظهـم وافر منه ، إلا إذا هذبهم الإسلام وردهم إلى

الاعتدال والجادة المستقيمة، وقد فعل ذلك في الرعيل الأول فظهر أمثال أبي عبيدة بن الجراح أمين الأمة ، والذي لا يهمه إن كان أميراً أو مأجوراً وقد مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذاك المؤمن في قوله:"طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع له« (1) ولذلك قال العلماء: (ما صد عن الله مثل طلب الرفعة ، ولا يفلح من شُمت رائحة الرياسة منه).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يعطي من هذه الدنيا المؤمن والكافر ، وذلك لهوانها ومنزلتها عنده، ولكنه سبحانه أغير من أن يتم أمره بالتمكين لهذا الدين في الأرض على يد أناس عندهم شوب في الإخلاص ، ويحبون الرئاسة والاستعلاء في الأرض ، فكيف إذا كانوا مشعبذين يتخذون الدين مطية للدنيا ، يبيعون دينهم بعرض قليل ، ويسخرون كل شيء لأهوائهم ومطامعهم ، فهؤلاء أبعد وأبعد عن التمكين ، لأنه أمر الله ولا يعطيه إلا لمن أحب.

والعجيب أن زعماء الغرب عندما تنتهي مدة رئاستهم يرجعون إلى مكانهم الأول ويعيشون مع المجتمع كأفراد عاديين، وربما رجع المدرس إلى عمله والتاجر إلى تجارته، ولا يبحثون عن الرئاسة مرة ثانية، فهل يكون هؤلاء أقل حباً للرئاسة منا وذلك لما اعتادوه من النظام الذي ارتضوه لأنفسهم ، ونحن عندنا كتاب ربنا يؤدبنا ويهذبنا!

أيكون لغير المسلمين منظمات ومؤسسات استطاعوا من خلالها التعايش بينهم ، ولم تنهدم بسبب تسلط واحد منهم ، ولا يقوم للمسلمين مثل ذلك ، ولا يجتمعون على صيغة تحل فيها عقد حب الرئاسة ، ويتنازل المسلم لأخيه قليلاً حتى تستمر آصرة التعاون؟

نرجو أن يكون لهم مثل ذلك وخاصة في مثل هذه الأيام.

الهوامش:

1- صحيح البخاري ، كتاب الجهاد.

منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين

هشام بن إسماعيل

إن الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو عدة أمور:

أولاً: أهمية بيان منهج أهل السنة في النقد والحكم على الآخرين ، لكثرة صدور الأحكام من جهات إلى أخرى دون تحري المنهج السليم في إصدار الأحكام ، مما أدى إلى الوقوع في أخطاء جسيمة في حق الآخرين.

ثـانيـاً: حاجة المجتمع إلى أن تكون عنده قواعد عامة في الحكم على الآخرين ، ليكون الحكم بـعـلـــم وعدل وإنصاف ، يقول ابن تيمية رحمه الله: "لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت،وإلا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم).(1)
ثالثاً: عظم حرمة المؤمن عند الله تعالى.
رابعاً: الآثار السيئة المترتبة بسبب الانحراف عن هذا المنهج، من بخس للناس، وتقـطـيع الأواصر، وحدوث الفرقة، ووقوع الغيبة والحسد والبغضاء، وغير ذلك من الأدواء الكثيرة، والتي لا تخفى على القارئ لكثرة وقوع هذا الأمر.

القاعدة الأولى:
الخوف من الله عز وجل عند الكلام في الآخرين :

حرم الله عـز وجل الغيبة في كتابه وعلى لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- ، فقال الله عـز وجـــل: ((وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ)) [الحجرات /12].
وتفسير الغـيـبـة جاء في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: »أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قـال: ذكــرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته«(2).
ومعلوم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قـرن حرمة الأعراض بحرمة يوم عرفة من الشهر الحرام في البيت الحرام ، فقال: »إن دمائكـم وأمـوالـكـــم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت«(3).
وعن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي -صلى الله عليه وسلم-: »خـيـــار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله: المشاءون بالنميمة ، المفرقون للأحبة ، الباغون للبرآء العنت«(4).
ومـعـنـى الباغون للبرآء العنت: أي الذين يحبون أن تقع المشقة للأبرياء ، وغالباً لا يكون هذا إلا عن حسد وحقد.
وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »يا معشر من أسـلـم بلـسـانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن مــن اتـبـع عـــورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله«(5).
وقد كان السلف -عليهم رحمة الله - من أشد الناس بعداً عن الغيبة والخوف منها.

ومــــن ذلـك مـــا قاله البخاري - رحمه الله -: سمعت أبا عاصم يقول: منذ أن عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدا قط(6).
وقال البخاري - رحمــــــه الله -: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً قال (الذهبي): صدق رحـمــــــه الله ، ومن ينظر في كلامه في الجرح والتعديل ، علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافـه فيمن يضعفه... حتى إنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر، فهـو متهم واه، وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً، وهـذا والله غــايــة الورع(7).
وقال رحمه الله: "ما اغتبت أحداً قط منذ أن علمت أن الغيبة تضر أهلها"(8).
بل إن المغتاب في الحقيقة يقدم حسناته إلى من يغتابه ، حتى إن عبد الرحمن ابن مهدي - رحمه الله - قال: "لولا أني أكره أن يعصى الله ، لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني ، أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها"(9).
وأما ما يفعله بعض من ينتسب إلى الدعوة في هذا الوقت من غيبة الآخرين بحجة التقويم والإصلاح ، فإنه ينبغي لهم قبل أن يتكلموا في غيرهم أن يتدبروا عدة أمور:
أولاً: يسأل نفسه ، ما هو الدافع الحقيقي لكلامه في غيره؟ هل هو الإخلاص والنصح لله ورسوله وللمسلمين؟ أم هو هوى خفي ، أو جلي؟ أم هو حسد وكراهية له؟!
فإنه كثيراً ما يقع الأشخاص في غيبة غيرهم بسبب أحد الأمور المذمومة السابقة ، ويظن أن دافعه هو النصح وإرادة الخير ، وهذا مزلق نفسي دقيق قد لا ينتبه له كثير من الناس إلا بعد تفكر عميق وبإخلاص وتجرد لله تعالى(10)
ثانياً: ينظر في هذا الدافع الذي دفعه للكلام في أخيه المسلم ، هل هو من الحالات التي تجوز فيها الغيبة أم لا؟(11).
ثالثاً: أن يتأمل كثيراً قبل أن يقدم على الكلام في الآخرين: ما هو جوابي عند الله تعالى يوم القيامة إذا سألني: يا عبدي فلان لم قلت في فلان كذا وكذا؟ وليتذكر أن الله تعالى يقول: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)) [البقرة 235].

القاعدة الثانية

تقديم حسن الظن بالمسلم :

والأصــــــل في هذه القاعدة هو قول الله عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا)) [الحجرات 12].
فأمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن لأن بعض هذا الكثير إثم ، وأتبع ذلك بالنهي عن التجسس ، إشارة إلى أن التجسس لا يقع في الغالب إلا بسبب سوء الظن.

وأمر المسلم - فـي الأصــــل - قائم على الستر وحسن الظن به ، ولذلك أمر الله عز وجل المؤمنين بحسن الظن عند سمــاعهم لقدح في إخوانهم المسلمين ، بل وشدد النكير على من تكلم بما سمع من قدح في إخوانه.
ففي حادثة الإفك ، عندما قيل ما قيل ، بيّن الله عز وجل الموقف الصحيح الذي ينبغي لكل مسلم أن يقفه ، فقال سبـحـانــه وتعالى: ((لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)) ثم بيّن سبحانه وتعالى أن التلفظ بهذا الكلام ونقله أمر عظيم ، فقال سبحانه وتعالى: ((إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (*) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ)) ثم وعظنا الله عز وجل أن نعود إلى الوقوع في مثل هذا الذنب العظيم فقال: ((يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)).
وقد بيّن سبحانه وتعالى أن مجرد نقل الجرح في الآخرين بلا ضرورة شرعية ، وبلا تثبت وروية ، أنه إثم ، فقال سبحانه وتعالى: ((لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ)).
وقد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-»كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع«(12).
وبوب الإمام مسلم في مقدمة الصحيح: باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، وأورد تحته الحديث السابق ، كما أورد قول الإمام مالك لابن وهب: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون إماماً أبداً ، وهو يحدث بكل ما سمع.
وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع(13).
وقـد أمــــر الله عز وجل بالتثبت من الأخبار فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) [الحجرات 6].

القاعدة الثالثة

الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل إنصاف :

والأصل فـي هـــــذه القاعدة هو قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [المائدة 8]،وقوله عز وجل: ((وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ)) [هود85] ونحو ذلك من الآيات.
يقول ابن جرير في آية المائدة: "يـعـني بذلك جل ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ، ليكن من أخلاقكم وصفــاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم ، ولا تجوروا في أحكامـكـم وأفـعـــالكم فتجاوزوا ما

حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم ، ولا تقصّروا فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم ، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي ، واعملوا فيه بأمري.
وأما قوله: ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، فإنه يقول:ولا يحملنكم عداوة قوم أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بـيـنـهـم، فـتـجــوروا عـلـيـهـم من أجل ما بينكم من العداوة"(14).
ويقول شيخ الإسلام ابن تيميـة: (والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع)(15).
وقـال الـذهـبـي فـي تـرجـمـة الفضيل: (قلت: إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج ، ومثل الفـضـيـل يتكلم فيه ، فمن الذي يسلم من ألسنة الناس ، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه ، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع)(16).
ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس جداً ، يتـضـح فـيــه المنهج الصحيح في الحكم على الآخرين - وخاصة العلماء - إذا أخطأوا حتى في مسائل الاعتقاد ، يقول: (قلت: أبو ذر (يعني الهروي) فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة ، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة ، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به ، وقد كان قدم إلى بغداد من هراة ، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم ، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم ، كأبي نصر السجزي ، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهــل الـعـلم والدين بما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفي، عـلـى طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث، وأهل المغرب كانوا يحجون، فـيـجـتـمـعــون به،ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة ويدلهم على أصلها ، فيرحل منهم من يرحـل إلى المشرق، كما رحــل أبو الـوليد الباجي ، فأخذ طريق أبي جعفر السمناني الحنفي صاحب القاضي أبي بكر ورحـل بـعــده الـقـاضـي أبــو بكر بن العربي، فاخذ طريقة أبي المعالي في الإرشاد.
ثم إنه ما من هؤلاء إلا له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من الإلحاد والبدع،والانتصار لكثير من أهل السنة والدين،ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداءً عن المعتزلة ، وهم فضلاء وعقلاء ، احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه ، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين ، وصار الناس بسبب ذلك:
ا- منهم من يعظمهم ، لما لهم من المحاسن والفضائل.
2- ومنهم من يذمهم ، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل.
وخيار الأمور أوساطها.

وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء ، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين ، والله تعالى يتقبل من جميع عباده الـمـؤمـنـيـن الحـسـنـات ويتجاوز لهم عن السيئات ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُـلُـوبِـنَـــا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) [الحشر 10].

ولا ريب أن من اجتهـد في طلب الحق والدين من جهة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، وأخـطـــأ فـي بعض ذلك ، فالله يغفر له خطأه ، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ((رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)) [البقرة 286].

ومن خلال النصوص السابقة؛ نعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم في غيره - إن احتاج إلى ذلك شرعاً - إلا:

1- بعلم.

2- وعدل وإنصاف.

فمن تكلم في غيره بغير علم ، فهو مخالف للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، مخالف لقوله تعالى: ((وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَـصَــرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)) [الإسراء 36].

ومن تكلم في غيره بظلم وجور فقد خالف قوله تـعـالـى: ((وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)) والكلام في الآخرين بدون علم، أو بظلم وهوى سبب لكثير من التفرق بالقلوب ، وحدوث الشحناء والحسد والتباغض، بل سبب الفشل وذهاب وحدة الصف وقوته ، والله المستعان.

الهوامش:

1- انظر منهاج السنة النبوية (5/83).

2- رواه مسلم 4/2001

3- المصدر السابق 2/886-892

4- أخرجه أحمد 4/227 ، وعزاه صاحب حـصـائــد الألسن ص 68 إلى صحيح الترغيب والترهيب، باب الترهيب من النميمة، وهذا الجزء لم يطبع.

5- صحيح سنن الترمذي (2/200)

6- التاريخ الكبير 4/336.

7- سير أعلام النبلاء 12/439.

8- المرجع السابق 12/441.

9- سير أعلام النبلاء 9/195.

10- وللمعلمي في التنكيل 2/180 كلام نفيس جداً عن اتباع الهوى ، ذكر فيه بعض مزالق الهوى الخفية.

11- وانظر ما ذكره الشوكاني في كتابه: رفع الريبة عما لا يجوز من الغيبة.

12- أخرجه مسلم في المقدمة برقم 5.

13- المرجع السابق 10/1-11.
14- انظر تفسير ابن جرير 10/95 تحقيق: أحمد محمود شاكر.
15- منهاج السنة النبوية 4/337.
16- انظر سير أعلام النبلاء 8/448.
17- انظر تعارض العقل والنقل 2/101-103.

قراءة في كتاب

أزمتنا الحضارية
في ضوء سنة الله في الخلق

تأليف د. أحمد محمد كنعان
عرض وتقديم: محمد السيد المليجي

مــن رزق نــور الـبصيرة ، ونعمة الاستنباط ، يستطيع أن يخرج من معطيات الطبيعة التي تمثلت في سنة الله في مخـلـوقــاتـه ، الكثير والكثير من سبل التقدم ووسائل الرفاهية التي تعود على الإنسان بالخير الوفير في وقته الذي يعيش فيه. هذا ما يريده الدكتور كنعان أن يجسده في بحثه القيم.

دور المنهج السماوي في بناء الحضارات :

وفي وقفة سريعة وإطلالة عاجلة على أهــم مــا احتواه الباب الأول ، بين لنا الكاتب أهم الأسباب التي حالت دون تقدمنا ورقي مجتمعنا الإسلامي في العصر الذي نعيش فيه والتي كان من أهمها "الغفلة عن منهج الله".

فقد قدم لنا الباحث أهمية النظر في السنن التي تسـير عـلـيـهـا المخلوقات ، وفهم مرادها وتسخيرها الصحيح لكي نستخلص منها ما يعيننا على صنع حضارة إسلامية عريقة.

فـهـؤلاء الــعــــرب الــذين لم يكن لهم علم ولا معرفة بالسنن التي تتحكم في حياة الأفراد والمجتمعات ، جاء الإسلام بقرآنه ودستوره الأزلي ، فقدم لهم تلخيصاً وافياً دقيقاً عن تلك السنن ، حتى إذا فهـمـوها وأخذوا بها في حياتهم ، تغيرت نظرتهم للكون والحياة تغييراً جذرياً ، ولم يلبثوا أن أصبحوا أمة واحدة يشد بعضها بعضاً.

كما اكتسبت الأمة الإســلامــيــة إلى جانب ذلك قدرة بفضل الله باهرة على تسخير ما في أيديها لتنتفع به وتفيد به الآخــرين ، فحملت إليهم نور الهداية والرحمة حتى انتشرت راية التوحيد في أرجاء المعمورة ، وقد تم هذا الفتح المبين في سنوات معدودات لا تعد شيئاً في عمر التاريخ...

وهذا النور الذي استمر شعاعه ألــف سنة بكاملها ، دعا الكاتب إلى هذا التساؤل المنطقي: ما الذي تغير حتى عاد المسلمون فانـتـكـسوا؟ وكيف حط

التخلف رجاله في ديارهم بعد أن ظلت الحضارة الإسلامية أولى الحضارات تقدماً ورقياً على مدى ألف سنة؟
يسوق لنا الباحث وجهة نظره ، وجوابه عن هذا التساؤل في كلمتين خفيفتين هما "الغفلة عن منهج الله"
وأعرب الكاتب عن مراده في معنى الغفلة حيث قال: "وأهم ما تعنيه هذه الغفلة ، تجاهل السنن الربانية التي تحكم حـيـاة الأفراد والأمم ، وفهم هذه السنن وتسخيرها على الوجه الصحيح ، بالإضافة إلى ضعف اهتمامنا بمسألة السير في الأرض ، والبحث عن السنن التي يمكن أن تعيننا في تصريف شؤوننـا المـخـتـلـفـة ، وتذلل لنا الصعاب وتيسر لنا أمر عمارة الأرض ، وفق المنهج الذي يأمرنا إسلامنا بإقامـته في واقع الحياة ، فالذي يطلب الأسباب لابد وأن يجد من يقوده إليها ، وهنا تبدأ رحلته معها.
فعلى قدر تسخيرها تجاه الطريق الصحيح يكون هناك التقدم والرقي والإزدهار.

من ثمار النظر في السنن الكونية :

يطل علينا الباب الثاني والذي ضمنه الباحث عدة ثمار هي نتيجة للنظر والتفكر في السنن الكونية.
وإن من أغلى هذه الـثـمـــار "الإيمان بالله تعالى" الذي يؤكد فهمنا واستجابتنا والإقرار بأن هذا الكون البديع في آياته، لابد له من مبدع أوجد هذه السنن وسيرها حسبما يريد الصالح العام للخلائق.
وبجانب هذه الثمرة اليانعة "ثمـــرة الإيمان" هناك ثمرات عديدة لها مساس مباشر وعميق بسلوكنا وحركتنا في الحياة، ومنها على سبيل المثال، الحرية، العلم، وهو المعرفة اليقينية بالسنن التي تحكم جزئية من جزئيات هذا الوجود.

مبدأ الاجتهاد في الشريعة الإسلامية :

هذه نقطة أخرى من نقاط الباب الثاني تعرض لـهــا المـؤلـف ليثبت للـغـافـلـين عن المنهج الإسلامي القديم، موافقته ومطالبته بالتفكر والاجتهاد القائم على مقدمات علمية صحيحة سابقة، بالإضـافـــة إلى الإعــراب عن أهمية وجود الاستنباط في المنهج الإسلامي بما يكفل لحياة الناس في كل وقت وحين حياة هادئة مطمئنة يعيشون فيها.
فقد قسم المؤلف الاجتهاد في الشريعة الإسلامية على قسمين:
1- مسائل لا يجوز الاجتهاد فـيـهـا بـل يـجـــب الالتزام بالأحكام الشرعية التي وردت بخصوصها مثل الصلوات الخمس والزكاة والصوم وتحريم الجرائم كالقتل والزنا،والسرقة، وشرب الخمر، ومـــا ورد فـيها من عقوبات مقدرة مما هو معروف بالقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة.
2- مسائل يمكن الاجتهاد فيها إما لعدم ورود نص فيها،وإما لأنه ورد نص ظني الدلالة، أو ظني الثبوت والدلالة معاً ، فهنا المسائل يجوز الاجتهـاد فيها

للوصول إلى حكم شرعي أو لمعرفة السنة التي تحكمها ، وبذلك يجدد الكاتب تأكـيد الإسلام على أهمية الاجتهاد وثمرة ذلك على الفرد والمجتمع.

خلاصة النتائج التي توصل إليها الباحث :

ومع مطلع الفصل الثالث الـذي يـبـيـن لـنـا قرب انتهاء الرحلة ، يقدم لنا الدكتور كنعان خلاصة النتائج التي توصل إليها وتعيننا في نفس الوقت على فهم طبيعة الأزمة التي تحل بنا وترشدنا أيضاً إلى الطريقة العلمية والـمـيسرة لتجاوز العقبات. ومن بعض هذه النتائج:

1- أن لهذا الكون ربا ، خلق كل ما في هذا الكون من خلائق وأخضها جميعاً لسنن كونية تحكم كل صغيرة وكبيرة منها.

2- تـتـصـف هــذه السـنـن الـتي فطر الله عليها أمور خلقه ، بمجموعة من الصفات التي تعطيها صيغة القانون الرياضي الصـارم ، فهي من جهة ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ، ومن جهة ثانية مطردة ، تتكرر على الوتـيـرة ذاتها كلما توافرت شروطها وانتفت الموانع التي تحول دون بلوغها.

3- وسـنة الله في الخلق تسري على كل شيء في هذا الوجود من غير تمييز سواء أكان هذا الـشـيء مادياً أم معنوياً ، ونحن البشر خاضعون كغيرنا من خلائق هذا الوجود لسنن الله، سواء شئنا أم أبينا ، وهذه الحقيقة تحتم علينا مسايرة هذه السنن لكي نتمكن من تسخيرها فعما ينفعنا ، وإلا فإن مخالفة السنن أو معاندتها لا تأتي بخير.

4- يقـتضي مـعـرفـــة السنة التي يقوم عليها أي عمل قبل الشروع فيه ، فإذا عرفنا سنته علينا أن نهيئ الشروط اللازمة لهذه السنة.

5- فـإذا فـشـلـنـا فـي إنجاز العمل المطلوب فإن هذا الفشل يعني وقوع خلل ما في الخطة، ويمكن أن نحصر مواضع الخلل في ثلاثة مواضع رئيسية:

ا- عدم سلوك الطريق الصحيح نحو الهدف أو عدم إصابة السنة التي توافق العمل.

ب - وجود عوامل خارجية تحول دون تحقيق السنة وبلوغها.

ج- وجود عوامل داخلية تؤدي إلى الإخلال بشرط أو بأكثر من الشروط اللازمة السنة التي تتحكم بالعمل.

وبهذه النتائج يصبح الـباحث مصيباً في محاولته في هذا المجال ، وهي تعد علامة بارزة تفتح الأبواب والنوافذ بمزيد من الدراسات والبحوث في هذا الموقع الحيوي الهام والغائب بالنسبة لاستئناف المسلمين دورهم الحضاري ، ومعالجة حالة الركود التي يعيشونها.

شذرات وقطوف

وفاء

وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليُغِصني بالطعام ويشرقني بالماء ، وقد استراح من لم تكن هذه صفته، وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به، وما رغبت الاستبدال إلى سبب من أسبابي قد كنت لا أقول الألاَّف والإخوان ولكن في كــل مـــا يستعمل من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك.

ابن حزم

تعساء الغرب

"تثبت المعلومات التي تقع تحت ملاحظتنا بوضوح تام أن طريقتنا في الجري وراء السعادة لا تثمر حياة طيبة ، فنحن مجتمع مــن الناس التعساء على نحو مزر ، نعاني من الوحدة والقلق والاكتئاب والنزوع التدميري"

فروم: الإنسان بين الجوهر والمظهر

مغامرات الأجداد

"نسي المسلمون الأيام السالفة التي كان فيها الـعـشرون مسلماً لا غير يأتون من برشلونة إلى مِزاكية من سواحل فرنسا ويستولون على جبل هـنـاك ويـبـنـون بـه حصناً ويتزايد عددهم حتى يصيروا مائة رجل ، فيؤسسون هناك إمارة تـعـصـف ريحهـا بجنوبي فرنسا وشمالي إيطاليا ، وتهادنها ملوك تلك النواحي ، وتبقى خـمـســاً وتسعين سنة مستولية على هذه الديار إلى أن تتألب الأمم الإفرنجية عليها."

شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون

شاتي آل المهلب

قال الأخنس الطائي يمدح آل المهلب:

نزلت على آل المهلب شاتـياً بعيداً عن الأوطان في الزمن المحل
فما زال بي معروفهم وافتقادهم وبـرهـم حـتـى حـسـبـتـهـم أهلي

***

"إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني".

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

رسالة الجامعات (الرسمية) المتعارف عليها علمياً هـي الـوصــول بالطلاب إلى مستوى قوي ومتين ورفيع من المعرفة النظرية والتطبيقية ، وهذا ما عملت وتعمل له الجامعات في العالم قديماً وحديثاً. ولكننا نحن المسلمين - في مختلف أنحاء الدنـيـــا - ينبغي أن تكون رسالة الجامعة عندنا تزويداً بالعلوم ، وترشيداً بالأخلاق في وقت واحد.

(فالعلوم) في مفهوم الإسلام منذ جاءنا محمد -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن الكريم والسنة الـنـبـويــة ليست مجرد نظريات وأفكار للتعليم أو الإلقاء أو

التلقين والحفظ؛ وإنما العلم في الإسلام: معرفة وسلوك ، قول وعمل ، فكر وخلق.
أحمد محمد جمال

لمحات في طرق نقل التقنية والتخلف التقني في العالم الإسلامي

د. عبد الله بن صالح الضويان

أية تكنولوجيا نريد:

مسألتان متعلقتان بنقل التكنولوجيا من حضارة إلى أخرى وهما:
1- ما يتعلق بالقوانين العلمية والتكنولوجيا التطبيقية.
2- ما يتعلق بالأهداف والمبادئ التي تجري تحت مظلتها وباتجاهها عمليات البحث العلمي والتكنولوجيا، وتشكل هذه الأهداف جزاً لا يتجزء من موضوع العلم والتكنولوجيا، مما يجعل عملية النقل عملية خطيرة وحساسة تحتاج إلى تمحيص وتدقيق.

إن التقدم التكنولوجي المنشود ليس أحد المصنوعات الحديثة التي تشترى بالبترول، وإنما هو حركة أمة تفاعلت مع واقعها ورفضت التواكل والخنوع وتهيأت له أفكار نابعة من عقيدتها ، اليوم ترى أحدث الآلات تباع في الأسواق الاستهلاكية ولا يزيد ذلك الدول الإسلامية (النامية) إلا فقراً وتخلفاً واستعماراً أشد وطأة. أمام هذا الوضع لا بد من الوعي بمشاكل الإنسان المسلم حتى يمكنه تقديم البدائل الإيجابية المنطلقة من عقيدته.

إن التكنولوجيا الغربية بشقيها الشرقي والغربي ليس فيها حل لمشكلة الإنسان لأن الفكر الغربي (الماركسي والرأسمالي) يتعامل مع الإنسان على أنه عالم أعداد وأرقام ، ولكن المسألة تختلف عندنا فعقيدتنا تنظر للإنسان على أنه خليفة في الأرض وأن كل ما في الكون مسخر له.

في الوقت الراهن غالباً ما يحسم الأمر بالنسبة للاستفادة من التكنولوجيا المعاصرة هو الاعتبارات السياسية لقادة الحكومات الإسلامية ، مثلاً إجهاد بلادهم بعملية التسليح للحفاظ على الكراسي ، أو الميل إلى مشاريع تعطيهم الاعتزاز والافتخار كمشاريع السدود والمطارات والمباني الضخمة التي يستهلك فيها رأس المال وتدار من قبل شركات غير مسلمة مثلاً .

أو إشغال الشعوب بتكنولوجيا تزيد من تخلف المسلمين فمثلاً لقد أصبح بإمكان الشباب المسلم مشاهدة مباراة كرة قدم تنقل إليه لحظياً من أوربا أو أمريكا بواسطة قمر صناعي مصنوع من ألفه إلى يائه في الغرب ، بينما في نفس الوقت لا يستطيع أن يجري مكالمة هاتفية مع كثير من بقاع

العالم الإسلامي ولكن يستطيع أي مواطن مسلم في تونس أن يتابع قنوات التلفزيون الفرنسي.
ومما ينبغي ذكره أن حيازة نـوع مـــن التكنولوجيا في مجتمعاتنا لا يعني بالضرورة التقدم بجميع جوانبه ، ولتقريب هذا المفهوم ، فإن المواطن العادي يفضل مثلاً ساعة ثمينة لأنها لا تخطئ إلا ثواني قليلة كل ألف ساعـة في الوقت الذي لا يقاس الزمن الإجرائي أو زمن الإنجاز في بلداننا إلا بالأيام والأسابيع.

التكنولوجيا الملائمة:

إن ملائمة التكنولوجيا هي أهم المعايير في عملية النقل والمقصود ملاءمة التكنولوجيا لظروف الـدول النامية وينبغي النظر إلى الأمة الإسلامية كوحدة واحدة (وإن كان هذا فيه شيء من المثالية) يغطي بعضها جوانب النقص عند البعض الآخر ، والملائمة تشمل ثلاثة معان.

ا- الملائمة الهندسية والفنية:

وهي الأساليب الفنية والميكانيكية المستخدمة في عمل لإتمامه بأعلى درجة ممكنة من الدقة وبأقل قدر ممكن من هدر الموارد وبسرعة جيدة ، فمثلاً لا يعتبر المحراث الخشبي (الآن) تكنولوجياً ملائماً لحراثة الأرض مع أن ملائمة الأسلوب لا تعين بالضرورة عدم قدرته على إتمام الأمر.

ب - الملائمة مع الظروف الجغرافية والبيئية:

من أهم أسباب نجاح الحضارة هو قدرتها على التكيف مع ظروف البيئة المحلية ، فمثلاً كان إنسان الجزيرة العربية متكيفاً مع البيئة عند استخدام بيوت الطين المكيفة ذاتياً ، في البـيـرو مـثـلاً أدى استخدام المبيدات الحشرية إلى ظهور حشرات ضخمة قضت على جزء هام من إنتاج القطن ، وقس على ذلك مثلاً مشكلة السد العالي.

ج - الملائمة الاقتصادية:

كما أنه يتوجـــب على الدول المتقدمة (ذات رأس المال) أن تختار الأساليب التكنولوجية التي تتطلب رأس مـــال كبير من أجل مستوى معين من الإنتاج والخدمات ، فإن نفس المنطق يدعو الدول النامية إلى استخدام تكنولوجيا كثيفة العمالة نظراً لفائض عنصر العمل في الكثير من الدول النامية (تذكر أن عدد المسلمين يبلغ المليار).
ولكن الدول النامية (وخاصـــة الإسلامية) تواجه وضعاً اقتصادياً صعباً يجعلها عاجزة عن الاستخدام الأمثل للأساليب التكنولوجية ، لهذا يجب الأخذ بعين الاعتبار عدة أمور مثل مدى توفر النقد الأجنبي عند هذه الدولة (أو الدول)، مـسـتـوى الـتـطـــور الاجـتـمـاعي والاقـتـصــادي والتكنولوجي الذي بلغته الدولة التي تحاول إيجاد التكنولوجيا الملائمة لظروفها.

إن التكنولوجيا الملائـمة هي التي تعمل على إشراك أكبر قدر ممكن من الفنيين والمهندسين والأيدي الـعـامـلـــة المدربة وغيرهم من أهل الاختصاص في المشاريع بحيث تساهم في إبقاء هؤلاء في أوطانهم بدل أن ينضـمـوا إلى العقول المهاجرة وحدوث ما يسمى بـ (النقل المعاكس للتكنولوجيا).

مظاهر التخلف التكنولوجي:

إن مظاهر التخلف التكنولوجي في مختلف البلدان الإسلامية متشابهة ويمكن إدراج سمات وخصائص هذه البلدان وواقعها تجاه العلم والتطوير التكنولوجي بما يلي:

1- تفشي الأمية إلى حد كبير بحيث أن كثيراً من الطاقات معطلة.

2- عــدم الـربـــط المباشر بين السياسات التعليمية والتربوية بسياسات التنمية الشاملة في العالم الإسلامي كـكــل وعدم اعتبار أن الإنماء الكامل للفرد يحتل مركز الصدارة في عملية التغيير المنشودة.

3- عدم وجود قاعدة صناعية وخاصة الصناعات الحديدية الثقيلة.

4- عــدم وجـــــود مـــؤسـسـات وأجهزة معنية بالتخطيط مركزياً لعملية نقل التكنولوجيا وتوطينها.

5- عـــــدم وجود أجهزة علمية للبحث العلمي وإن وجدت فليس هناك اهتمام كبير بها (مالياً وبشرياً) وربطها بالأجهزة الأخرى في العالم الإسلامي.

6- عدم اشـــتـراك العلمـيـيـن والتقنيين وعلماء الاجتماع المسلمين اشتراكاً علمياً في إعداد الخطط.

7- لا تتوفر إحصائيات ومسوحات دقيقة لكافة الطاقات الإسلامية البشرية في مختلف المجالات.

8- لا توجد سياسة واضحة للإعلام العلمي والتكنولوجي والجماهيري.

9- لا توجد علاقة بين المؤسسات العلمية (معاهد ، جامعات) وبين تحديد احتياجات التطور الصناعي والتقني.

10- لا يوجد برنامج واضح حول سبل تدفق المطبوعات العلمية والتقنية من مختلف أنحاء العالم.

11- الاتجاه لتعريب العلوم والتكنولوجيا غير جاد.

12- عدم الاهتمام بتشجيع عقد الدورات والندوات التنشيطية في مختلف مجالات العلم والتكنولوجيا.

13- عدم الجدية في الحد من عملية النقل المعاكس للتكنولوجيا المتمثلة بهجرة الكفاءات والعقول المسلمة خارج بلادهم.

إن المؤسسات والحكومات مسؤولة مسؤولية كبرى تجاه هذا الوضع المتدني ، وهذا طبيعي طالما حركتها شهواتها ولم تحركها عقيدتها.

ومما ينبغي ملاحظته أنه مع تقدم الزمن فإن الدول الإسلامية تزداد تخلفاً تكنولوجياً على نقـيـض الـدول الـمـتـقـدمة ، من ذلك ما تدل عليه إحصائية

من كتاب ألفه مجموعة من الخبراء(1) أنه ارتفعت جمـلــة صـــــــادرات الدول الصناعية إلى نحو خمس عشرة دولة إسلامية في الشرق الأوسط في مجال الآلات مــن خمسة ونصف بليون دولار عام 1985 إلى حوالي 100 بليون دولار عام 1982 ، ويوافق هـــــــذا الارتفاع زيادة بلغت ثمانية أضعاف بمقياس الدولارات ، وارتفعت فيما بعد أهمية الصادرات الخدماتية وخاصة في المجالات التقنية والتسييرية وإدارة المشاريع.

الهوامش:

1- لمزيد من التفصيل انظر مجلة الفيصل103 محرم 1406هـ ص67.

السعي في حاجة المسلم

خوله درويش

الحياة قاسية، وأهوالها كثيرة ومصائبها جمة، والإسلام دين الحياة الاجتماعية السليمة، يريد من اتباعه أن يكونوا كـالـطـود الشامخ بل كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى لـــه سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

وفي ظل تلك الحياة يشعر المسلم بالطمأنينة والهناء ، وترفرف عليه السعادة لشعوره بأنه لا يواجه الحياة بمفرده فـي خـطـوبها الجليلة ، فإن إخوته المؤمنين يمسحون آلامه ويقيلون عثراته ، يعينونه برأيهم وهم له نـاصـحــون ويمدونه بمالهم وهم عليه مشفقون ، ويسعون معه بجاههم وهم لخيره راغبون وفي كل ذلك يلتمسون الأجر والقرب منه تعالى.

روى الحاكم وقال صحيح الإسناد:»لأن يمـشــي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته ، وأشار بأصبعه أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين«.

وعـن أبي مـوسـى -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:»على كل مسلم صدقة. قيل: أرأيـت إن لم يـجـد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف« رواه البخاري ومسلم.

فالمسلم يساعد أخاه المسلم. بقدر إمكانياته بيده، بماله، بجاهه ولا يضيق به مؤثراً السكينة وقد أخلد إلى الراحة.. بينما نجد غيره من إخوته تؤرقهم الهموم، وتـقـض مـضـاجـعـهـم المحـــــن.. وبإمكانه أن يمسحها بشيء من الإيثار ولو على حساب راحته. قد تحل بأحد المسلمين مشكلة فماذا يكون موقف الآخرين منها؟

لن نتحــدث عن ضعاف الإيمان وإنما نتحدث عن الصفوة التي نأمل منها الكثير.. وكثير من هؤلاء يواجهون المشكلة بهز الكتفين ولسان حال أحدهم يقول: مالي ولهذا الأمر. فأشغالي أجــل مـنـهـا. وفي أحسن حالاته يحوقل ويتأوه وكأنه يقول: ليس بالإمكان أحسن مما كان.

إن السلبية واللامبالاة لن تحل أمور المسلمين ، وهذه التصرفات لابد أن نؤاخذ عليها. فـالنعمة التي خولها الله للعبد سيسأل عنها فيم وضعها؟ فكيف إذا سئل العبد يوم القيامة إن فـلانــاً المسلم كان في ضائقة وكان بإمكانك مساعدته ، وخذلانك له في هذه الحاجة قد ألجأه إلى الـرشـــوة ليحصل على حقه ، إنك لو سعيت له في جاهك الذي حباك الله إياه لقضيت مصلحته ويسرت أمره وحلت دون لجوئه إلى الرشوة.
وكم من شاب قد ينـحـرف عن دينه لقضاء مصالحه عن طريق غير المسلمين إذا ساعدوه في المال لإنهاء دراسته!
وكم من أسرة تضرع بالدعاء إلى من مد لها يد العون وقد يكون من أعداء الإسلام!.. وهذا ما يقوم به المنصرون في كثير من ديار المسلمين الفقيرة ، وأندونيسيا خير شاهد على ذلك.
كـم مــن أسرة ناشئة بنيت على غير مرضاة الله للتقصير في مساعدة الشباب على الإحصان الذي يدعو له الشرع! كل ذلك في غيبة الوعي الفعلي والتقدير لقيمة العون.
والله تـعـالى يقول: ((مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا)) [النساء 85]. فــلا تـظـــن أخي المسلم أن العبادة مقصورة على نوع من القربات يرسمها خيالك ، إنها كل ما يحبه الله من قول أو عمل.
إن سيرك في حاجة أخيك المسلم إن أحـسـنـت النية واحتسبت الأجر من الله قد تكون من أفضل العبادات.
يقـــول ابن القيم -رحمه الله- في معرض ذكره للآراء في أفضل العبادات: "ومنهم من رأوا أن أنفــع العبادات وأفضلها ما كان فيه نفع متعدٍ. فرأوه أفضل من ذي النفع القاصر. فرأوا خدمة الفـقـراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالمال والجاه والنفع أفضل فتصـدوا له وعملوا عليه واحتجوا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: »الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه انفعهم لعياله « رواه أبو يعلى.
واحتجوا بـأن عمل العابد قاصر على نفسه ، وعمل النافع متعدٍ إلى الغير (أين أحدهما من الآخر؟).
قـالـوا: ولهــذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.
واحتجوا أن صاحب العـبــــــادة إذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله ما دام نفعه الذي سعى إليه.
واحـتـجـوا بـأن الأنـبـيـــــاء إنما بعثوا بالإحسان إلى الخلق وهدايتهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم، ولم يبعثوا بالخلوات والانقطاع عن الناس والرّهب" ولعل في هذا القول ما يشفي ويكفي.

فإلى قضاء مصالح المسلمين ينبغي أن ينشط الدعاة المخلصون في كل مكان ، ولا تشغلهم عنها كثرة التبعات. وما قصة عـمـر بن الخطاب -رضي الله عنه- مع المرأة التي كانت في حالة وضع، ومساعدة زوجها في طهي الطعام عنا ببعيدة.
إن الفطرة السوية لن تنسى اليد التي امتدت إليها ساعة المحنة.
أيها الأخ المسلم يا من تريد النجاح في الدارين: إن الأمر سهل ميسور ، إذا عودت نفسك على قضاء مصالح إخوانك ذوي الحاجات ، ولن تنفع الخطب والمواعظ إذا تقاعست عن أداء حق الأخوة والدين.
وأنت أيتها الأخت المؤمنة: تذكري كلما حببت إليك نفسك الراحة والسكون: أن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

الشورى هل نلتزم بها؟

محمد العبدة

الحديث عن الـشـــورى في الإسلام يكتسب أهمية بالغة وذلك لخطورة هذا الموضـوع أولاً، وللمعاناة التي عاناها ويعانيها المسلمون من أثر الاستبداد ثانياً ، هذا الاستبداد الـذي طال كل شيء: الفرد، والأسرة والتجمعات والدولة، وقد كتب الكثير حول الشورى، وسيكتب لأنها لم تترسخ بعد نظرياً فضلاً عن أن تترسخ عملياً ، والمقصود هو التطبيق العملي.
إن إعادة الـكـتـابة عنها هو من باب التأكيد والتذكير حتى تصبح قاعدة من قواعد الدعوة والعمل ، ولا يقال هنا: ما الفائدة وصورتها التطبيقية لم تأت بعد ، وحتى تأتي الحكومة الـتــي تقبلها نـكـتـب عنها. والحقيقة أننا لا نكتب عن الشورى للدولة فقط ، بل للدعوة الإسـلامية ، فالشورى قاعدة مهمة وأصيلة من قواعد بناء الأمة سواء على مستوى مؤسسة أو دولة أو أي تجمع يريد الخير.
منذ بـدايـــة ما يسمى (عصر النهضة) أي من مائة عام تقريباً وأصحاب الغيرة على الأمة الإسلامية يدندنون حول هـذا الموضوع ، وسواء أصاب بعضهم أم أخطأ وسواء خلطوا معها مفهوم الحرية والديمقراطـية الغربيين أم كانوا واضحين ، المهم أن الموضوع كتب عنه لأنه مــن أسـاسـيـات النهـضــة ولم يترسخ بعد، لم يتحول القرار الفردي إلى قرار جماعي، لم تتحول المؤسسة التي تقوم على جهد جماعة وبدلاً من تطبيقه عملياً ، راح بعض الكتاب يجادلون هل الشورى ملزمة أم معلمة؟ مع أن أمر الشورى أكبر من هذا الجدل ، فنحن لم نحقق الخطوة الأولى وهي الإصغاء إلى أهل الخبرة والعلم ، لم نتعلم فن الاستشارة ، قبل أن ننتقل إلى الشورى كممارسة لصنع القرار في شؤوننا العامة ، إن التشاور بحد ذاته عمل مهم وهو فن لم نتعود

عليه ، ولم نتقنه بعد ، وقد أدبنا الله سبحانه وتعالى بهذا الأدب في لفتات من كتابه الكريم ، ولكن يغفل عنها الغافلون.
"ففي قوله تعالى للملائـكـــة: ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)) ليعلم عباده أن أحدهم ولو عظم سلطانه وسما في العلم مكـانـه ، لا يحول ذلك بينه وبين أن يعرض الأمر على من هو دونه ، وقص القرآن علينا من أمـر بلقيس أنها قالت للملأ من قومها بعد أن اتصلت بكتب سليمان عليه السلام ((يَا أَيُّهَا الـمَـلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ)) والقرآن لا يقص علينا القصص للتفكه بالوقائع التاريخية ، ولكن ليتعلم الجاهلون"(1)

ويقول الإمام الطرطوشي منبهاً على أهمية الشورى:

"ولا يمنعنك عزمك على إنفاذ رأيك وظهور صدام لك عن الاستشارة ألا ترى أن إبراهيم -عليه السلام- أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فيحمله حسن الأدب على الاستشارة فيه فقال: ((يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)).
وعـــدم المشورة يعني الاستبداد "والعمل بالرأي الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكـمالات والمعارف ولا يسوغ أبداً أن يسلم أمر الدولة لإنسان واحد بحيث تكون سعادتها وشقاؤها بيده ولو كان أكمل الناس وأرجحهم عقلاً ، وأوسعهم علماً"(2).
وليس أشـــد إفساداً للفطرة من الذل الذي ينشئه الطغيان الطويل ، والذي يحطم فضائل النفس البشريـــة ، ويحلل مقوماتها ، ويغرس فيها المعروف من طباع العبيد ، استخذاء تحت سوط الجـــــلاد وتمرداً حين يرفع عنها السوط ، وتسيطر حين يتاح لها شيء من النعمة والقوة"(3).
ومن التصوير الدقيق لأثر الاستبداد على النفوس وكيف ينزل بها إلى مستوى هابط ما ذكره الكوكبي في كتابه (طبائع الاستبداد) يقول:
"وقد يبلغ من نتائج الاستبداد بالأمة أن يحول ميلها الطبيعي من طلب الترقي إلى طلب (التسفل) بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت كما يتألم الأجهر من النور ، -وإذا ألزمت بالحرية تشقى ، وربما تفنى كالبهائم الأهلية إذا أطلق سراحها " (4).
فإذا كان الاستبداد يصل بالأمة إلى هذه الدرجة فإن ما قصه القرآن الكريم عن بني إسرائيل وفساد فطرتهم بسبب خضوعهم الطويل لفرعون مصر لهو أكبر شاهد على ذلك.
ولابد من الرجوع للقرآن الكريم لنرى ما قال المفسرون حول آية الشورى.

ما قيل في آية الشورى:

قال رشيد رضا في تفسير قوله تعالى ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)) "وشاورهم في الأمر" العام الذي هو سياسة الأمة في الحرب والسلم والخوف والأمن وغير ذلك من مصالحهم الدنيوية ، أي دم على المشاورة وواظب عليها كما فعلت

قبل الحرب (غزوة أحد) وإن أخطأوا الرأي فيها ، فإن الخير كل الخير في تربيتهم على المشاورة دون العمل برأي الرئيس وإن كان صواباً لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكومتهم إن أقاموا هذا الركن العظيم ، فإن الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر ، والخطر على الأمة في تفويض أمرها إلى الرجل الواحد أشد وأكبر"(5)

ويقول سيد قطب: ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ)) بهذا النص الجازم يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم وهو نص قاطع لم يدع للأمة الإسلامية شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه.

لقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة (معركة أحد) أمام ما أحدثته من انقسام في أوج الـظـــروف ولـكـن الإسلام كان ينشئ أمة ويربيها ويعدها لقيادة البشرية وكان الله سبحانه وتعالى يعلم أن خـيـر وسـيـلـة لـتـربـيـة الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى ، وأن تدرب على حمل التبعة ولو كان وجـــود القيادة الرشيدة يمنع الشورى لكان وجود محمد -صلى الله عليه وسلم- ومعه الوحي كافـيـــاً لحـرمـــان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى ولكنه لم يبلغ هذا الحق (6).

ويقول الطرطوشي: "إذا قيل: كيف يشاورهم وهو نبيهم وإمامهم وواجب عليهم مشاورته. قـلـنا هذا أدَبٌ أدَّبَ اللهُ تعالى نبيه عليه السلام به؛ ومن أقبح ما يوصف به الرجال ملوكاً كانوا أو سوقه الاستبداد بالرأي وترك المشورة"(7).

قال الرازي في تفسيره: إنما أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة، ولأنه إذا شاورهم اجتهد كل واحد منهم في تحصيل أصلح الوجوه فيها، وتطابق الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله ، وهذا هو السر عند الاجتماع في الصلوات ، وهو السر في أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد"(8).

يقول الـشـيـخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره: " فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره ، منها: أن المشاورة. من العبادات المتقرب بها إلى الله ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي المصيب ، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله"(9).

الهوامش:

1-محمد البشير النيفر: نبراس المرشدين في أمور الدنـيـا والـديـن ص 235 طـبـعـة الدار التونسية للنشر.

2- د.فـهـمـي جـدعـــان / أسس التقدم عند مفكري الإسلام ص 133 والكلام لخير الدين التونسي في كتابه (أقوم المسالك).

3- سيد قطب / في ظلال القرآن 1/72

4- أسس التقدم عند مفكري الإسلام ص 297.

5- المنار 4/199.
6- في ظلال القرآن 1/52.
7- سراج الملوك ص 94.
8- مفاتيح الغيب 3/120.
9- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 1/445.

وهلك لويس عوض

خالد بن صالح السيف

لـم أشــأ أن أكتب عنه ، ولا أحسبني قادراً على إرغام قلمي على إعادة الكتابة عنه مرة ثانية، بيد أن هلاكه أولاً وما حظي به من أزلامه اضطراني إلى أن أكتب محتسباً، وخائفاً من التأثم، إذ أمنحه مساحة لا يستحقها البتة، ولست أدري أتخفى طوية مثل هذا ... ربما!! إذن فالأمر واجب ، وعندها أجد المسوّغ

طبعت على كدر وأنت تريدها صـفـواً من الأقــذاء والأكدار
ومكلف الأيام ضـد طباعها مـتـطـلـب في المــاء جذوة نار

مداخلات:

1- يــهــب المسـتـريـبـون أنفسهم دلالات تمنحهم بعداً يأخذ بتلابيب السذج ، ليمارسوا التصفيق والمكاء احتساباً وتزلفاً لمقام المريدين ، هم أنفسهم جردوا سيوفهم المتثلمة ليعلموها في رقاب الحروف المستقيمة ، تعبيراً صلفاً إزاء مواقف زان أربابها لباس التقوى ((وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ)) [الأعراف 26].

2- أحسب أن أمتنا التهمها "تنين الحداثيين" فقُدَّ قمـيـصـهـا من دبر ورأت حسناً ما ليس بالحسن!! وبانت السوءة!! من لدن المستغربين سفاهة.
وفي هذا المعترك انـخـرمـــــت قاعدة "الولاء والبراء" فاتسع خرق "العطب" فلم تعد رؤيتنا تحسن التفريق بين الهادي والهاذي!! بل انطفأت حدقة الرؤية.. فألفينا الشمس في رابعة النهار "قرص خبز احترق" ورحنا نتعزى "وقد كلمنا" بقول بشار عن نفسه:

عمـيـت جنيـنـاً والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلاً
وغاص ضياء العين للقلب فاغتذى بقلب إذا ما ضيع الناس حصلاً (1)

معالم هويته:

ما كان "لويس عوض" نكرة ولم يكن أيضاً مستغرقاً في علميته بيد أنهم أرادوا له أن يتجاوز صخراً.. وإن رغم أنف الخنساء -رضي الله عنها- فـكــــان لهم ما أرادوه قسراً!! تحقيقاً لمآربهم وكان من حينها ومن قبل متجذر الانتماء لأصله وملته!! فلم لم يكن ذلك كذلك؟!
لا ريب.. فقد كان!! وانتصب صنماً لحقب تولت.. بزَّ هُبَلاً!!

في أتون المعارك:
وإفرازاً لعطائه المنتن وتجاوزاته المريبة "حيث النزعة الإقليمية.. والعمالة التبشيرية.. وأبعاد النزعة الطائفية" كانـت ثـمـة معارك في أواخر السبعينات ومن أشهر الكتاب الذين ناوشوه في معارك ضارية على اختلاف مشاربهم وعدم رضانا عن بعضهم فكراً وعطاءً:
توفيق الحكيم.. أحمد بهاء الدين.. د. حسين فوزي... يوسف إدريس... وحيد رأفت... د.محمد إسماعيل علي.. وعبد العظيم رمضان..
بيد أن أفضلهم وأشدهم غيرة وصدقاً أسـتـاذنـا وشيخنا محمود شاكر في سفره العظيم الذي سلخ فيه لويس عوض وعراه قبالة الملأ وقــد وسـمــه بـ (أباطيل وأسمار) جزءان في مجلد واحد. يقول في رسالة الكتاب: "ولهذه الفصول غرض واحد وإن تشعبت إليه الطرق. وهذا الغرض هو ما قلت للأخ الصديق الأستاذ محمد عودة: "هو الدفاع عن أمة برمتها هي أمتي العربية الإسلامية ، وجعلت طريقي أن أهتك الأستار المسدلة التي عمل وراءها رجال فيما خلا من الزمان ، ورجال آخرون قد ورثوهم في زمــانـــا وهمهم جميعاً كان: أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا ، وعلى مجـتـمـعـنـا ، وعلى حياتنا وعلى ثقافتنا ، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم الذي بناه آبــاؤنـــا في قـــرون متـطـاولة وصـحـحـوا بــه فـساد الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية وردوها إلى طريق مستقيم علم ذلك من علمه وجهله من جهله "(2)
أحسب أن شيخنا كـفـانـا مؤنة الإسهاب قي إبانة طوية لويس الفرعوني والذي راح أبناء أمتنا يأسفون لهلاكه ويبكون دماً.

الإسلام في عُرفه (3):
محصلة رؤيته تجاه الإسلام أوجزها بالآتي:
1- لم يهزم الإسلام الصليبية إلا أنــه دين علماني وأكثر علمانية مما كانت عليه مسيحية القرن السابع.
2- ليس للإسلام نظام سياسي خاص بـــه. كل ما يمكن قوله أن إسلام الأوائل "حين كان الإسلام شديد النقاء" كان نوعاً من الجمهورية الكالفانية!!
3- كل الذين يحلمون بنظام حكم إسلامـي يؤكــدون على الأبــعـــاد الـروحية واللاهوتية والبلاغية للإسلام وهذا لا يمكن إلا أن يلغي كل أمل قد يذهبون إليه في أن يـنـافــس نظام الحكم الإسلامي النظم الغربية.
4- الصحوة الإسلامية ليست إلا تراجعاً تاريخياً تعرقل الجهود الحقيقية لنهضة قومية.
هــذا هو الإسلام كما يراه هذا الهالك ولا يخرجه عن هذه الأطر وأحسبه موقفاً معروفاً عنه منذ ذي قـبــل بـيــد أن التباكي عليه اضطرني إلى نبشه مرة ثانية وحسبي أنه ضرب من الواجب إذا راحت الأقلام تنعاه وكأن الخطب جلل.

تعريته لنفسه:
يأبى أولئك الحانقون إلا أن يبينوا عن حقيقة أنفسهم بتلقائية المسوق بقدر الله تعالى،وتلك نعمة ، فيدان من فيه ، وليس ثمة تحامل من الأخيار كما يُزعم!!
فـفـي عـــام 1985 م قال عن نفسه "أنه وجيله من الكتاب قد أصبحوا من الأشباح وأنهم انتهوا بهزيمة يونيو.. "(4) غير أن تباشير الصحوة الإسلامية أقضت فانعتق من "شبحيته" المشبوهة ليمارس تجاه هذا الطود الشامخ حرباً مني فيها وجيله من الأشباح بهزيمة نكراء أركـسـتـهـم فـي شـبـحـيـتـهـم ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)).
ورغـــم هذا العطاء الذي أدركت حقيقته يأسرك العجب ساعة أن تعي موقفه تجاه عطائه وقد رضـي عـنـه كـــل الرضا فدونك موقفه حيث يقول: "أنا الآن على بعد خمـسـيـن عــاماً من هذه الأحداث التي استرجعها في تأمل حزين وعلى الرغم من خمسين عاماً من العلقــم جرعتها حتى الثمالة فلست نادماً على اختيارات حياتي مع أني اقتربت من القبر ولا أملك شيئاً من متاع الدنيا غير لقمتي و سترتي"
((أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَـــبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)) [فاطر 8].

الهوامش:
1- ديوان بشار بن برد.
2- أباطيل وأسمار- رسالة الكتاب ص 10.
3- نتاج لقاء أجرته معه مجلة صباح الخير عدد 1630
4- نقلاً عن مرافئ الأستاذ حمد القاضي المجلة العربية عدد 128 رمضان 1408 هـ

المسلمون في العالم

النظام العالمي الجديد: الوجه الآخر للاستعمار -1-

د.أحمد عجاج

تـجـتــاح العالم فـرحـة غامرة ، وتسوده حالة من الارتياح والاسترخاء عقب انتهاء حرب الخليج أو مـــا أصبح يعـرف بحرب "تحرير الكويت" ، فالمعتدي ،

وهو هنا طبعاً العراق، قد لقن درساً قاسياً ورد على أعقابه ، والمنطقة بدأت تتنفس من جديد هواء الحرية الذي حرمت منه في الأشهر الأخيرة.
فالمستقبل يحمل كل بشائر الخير للمنطقة، وعلامات الرضى والتفاؤل بدأت تظهر ملامحها من خلال تصريحات المسؤولين الغربيين والمتجلية في إعادة ترتيب أوضاع العالم والمنطقة بشكل خاص.
فنادراً ما نجد صحيفة أو مسؤولاً عربياً إلا ويتحدث عن الترتيبات الجديدة التي من شأنها أن تنقل المنطقة بلمسة سحرية من حالة الفوضى وعدم الأمن إلى واحة الاستقرار والحرية.
وجوهر هذا التفاؤل يرجع أساساً إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطابه الشهير أمام جلسة مشتركة لمجلسي الشيوخ والنواب في كانون الثاني حيث أعلن صراحة ودون مواربة رغبته في بناء نظام عالمي جديد للعالم ، وهذا النظام سيتم بناؤه بإرادة الولايات المتحدة الأمريكية لأنها "هي الدولة الوحيدة بين دول العالم التي لديها المبدأ الأخلاقي والوسائل المتوفرة لتنفيذه".
إن ترديد معزوفة النظام الجديد لم تعد محصورة في إطار التصريحات السياسية، بل تعدتها إلى الدوائر الثقافية والاجتماعية حتى أصبحت تردد على ألسنة العامة ، دون أن يدرك بالفعل مكنونها ونتائجها. هذا الواقع بالذات يستدعي البحث لكشف جوهر هذا النظام العالمي الجديد والأسباب التي أدت إلى ظهوره ونتائجه المتوقعة على العالم ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص. ولتبيان ذلك فإنه ستتم دراسة هذا النظام.

النظام الحالي أو ما يعرف بالنظام الثنائي:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية شهد العالم مرحلتين من التغيير ، تميزت المرحلة الأولى بانحسار نفوذ الإمبراطوريتين العظميين بريطانيا وفرنسا بشكل ملحوظ وتدريجي إلى أن بلغت ذروتها عقب حرب السويس عام 1956 والتي توجته بانسحابهما من منطقة الشرق الأوسط.
وبدأت المرحلة الثانية مع ظهور الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية دولتين عظيمتين في الساحة الدولية ، وبظهورهما ابتدأ العالم يعيش مرحلة جديدة تختلف كلياً عن سابقتها. ولعل من أبرز صفات هذه المرحلة أو الفترة ظهور النظام القطبي الثنائي على مسرح السياسة الدولية.
وما يقصد بكلمة القطبي الثنائي هو سيطرة دولتين فقط على مقاليد القوة والزعامة في العالم دون مشاركة غيرهما. فالاتحاد السوفييتي الذي ظهر كقوة يحسب لها حسابها عقب الحرب العالمية الثانية اعتنق الفكر الماركسي كعقيدة يسير ضمن نمطها ونواميسها ويلتزم بموجبها بتقديم كل الدعم لحركات التحرر العالمية التي تناضل من أجل حريتها وسيطرة الطبقة العاملة على مقاليد السلطة. فما يميز السياسة السوفييتية هو الالتزام

التام بدعم نظرية الصراع الطبقي الهادفة إلى تقليص نـفـــوذ البورجوازية في العالم ، والسيطرة على حركات التحرر والعالم.
فـي الجـبـهـــة المقابلة ظهرت الولايات المتحدة التي دخلت الساحة الدولية بعد فترة من الانعزال والانكماش كقوة عظمى استطاعت أن تحطم الآلة العسكرية الألمانية شر تحطيم.
فالولايات المتحـدة الأمريكية اعتنقت النظام الرأسمالي القائم على الحرية والمبادرة الفردية في امتلاك وسائل الإنتاج والتوزيع. وهكذا فإن كلا النظامين مناقض للآخر بطبيعته ويسعى كــل منهما لإلحاق الهزيمة بالآخر. هذا الواقع دفع الرئيس الأمريكي ترومان إلى القول أن العالم منقسم إلى قـسـمـيـن: أحدهما: "ديمقراطـي مـبـنـي عـلـى حـكـم الأكثرية" والآخر: "دكـتـاتـوري مبني على حكم الأقلية التي تفرض نفسها على الأكثرية" لذلك فإن واجب الولايات الـمـتـحـدة الأمـريكـيـة هو أن تقدم "الدعم للأحرار من الشعوب الذين يتحدون الخضوع للقلة الحاكمة التي تفرض نفسها عليهم عبر الدعم الخارجي". وهكذا يتضح أن الصراع بين هاتين الدولتين هو صراع عقائدي ومصلحي في آن معاً لأن انتصار أي منهم هو تهديد لأمن ومصالح الآخر.لذلك كان من الطبيعي جداً أن تعمد الولايات المتحدة الأمريكية إلى تقليص النفوذ السوفيتي في أية بقعة من بقاع العالم من أجل تدعيم موقفها ، والسيطرة على مقاليد الزعامة التامة.
غير أنه رغم ضراوة هذا التنافس وشدته فإن هناك ضوابط ومعايير ونظماً تحكم نمط أو أطر سياسة كل منهما بالآخر. وجوهر هذه الضوابط والنظم يتمثل في اعتماد الدولتين العظميين نظرية الدمار المتبادل كمرتكز أساسي في سياستهما. ومفاد هذه النظرية أن نتيجة السلاح النووي المتكدس في ترسانتها - والذي هو من القوة والتدمير بمكان إذ يسمح بتدمير الكرة الأرضية خمس مرات إن هو استعمل- تحتم على الفريقين حسب هذه النظرية تجنب أية مواجهة عسكرية مباشرة ، لأنها ستؤدي فعلاً إلى كارثة بشربة تنهي العالم. وبالفعل فإن الدولتين العظميين استطاعـتـا عبر عقود من الزمن أن يتجنبا المواجهة المباشرة عن طريق تذليل أية عقبات مهما عظمت أو تفاقمت ، ولا تزال أزمة الصواريخ الروسية في كوبا مثلاً حياً على ذلك ، إذ انتهت بسـحـب الصواريخ الروسية مقابل سحب الصواريخ الأمريكية في جنوب تركيا ، وتعهدت الولايـــات المتحدة الأمريكية بعدم التدخل بشؤون كوبا البلد الحليف للاتحاد السوفيتي. إلا أن هـــذه المواجهة لم تمنع كلا الدولتين من الاتفاق على مناطق نفوذ خاصة بينهما. فأوروبا الشرقية هي حكر خاص للاتحاد السوفيتي يفعل بها ما يشاء دون أي تدخل مباشر من الولايات المتحدة، ومـــا اجـتـيـاح الاتـحــــاد السوفيتي لتشيكوسلوفكيا والمجر وغيرها إلا دليل ساطع على اعتراف الولايات المتحدة بسـلـطـتــه المطلقة

على البقعة ، وكذلك الأمر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية التي سيطرت على أمـريكـــا اللاتينية دون أي تدخل مباشر من الاتحاد السوفييتي. إلا أن هذا الاعتراف لم يمنع الدولتين من التسابق والتزاحم على الزعامة في العالم الثالث وخصوصاً منطقة الشرق الأوســـط ذات الأهمية الخاصة لكل من الدولتين. إلا أن هذا الصراع يبقى مرتبطاً ارتباطاً جذرياً بنظرية الدمار المتبادل التي تمنع أي تطور في المجابهة من شأنه أن يقود إلى حرب مباشرة ، وذلك من أجل الحفاظ على مصالحها المشتركة.
هذا النظام استطاع أن يؤمن نوعاً من التوازن في العلاقــات الدولية تستطيع الدول الأخرى بموجبه أن تــلــعــب دوراً عن طـريـق الالتفاف حـــــول دولة دون الأخرى من أجل تأمين مصالحهم. وهذا الواقع استطاع أن يستمر فترة طويلة مـــن الزمن منذ قمة مالطا عام 1945 بين الدولتين العظميين إلى أن تسلم الرئيس السوفييتي غورباتشوف مقاليد السلطة والزعامة في الكرملين ، حيث ادخل تغييرات جذرية على نظرية الــدمـــار المتبادل ، مما أدى إلى زوال النظام القطبي الثنائي.

2- التغييرات الجديدة في النظام القطبي الثنائي:

مـــــا إن تسلم الرئيس السوفيتي غورباتشوف مقاليد السلطة حتى سارع إلى عملية إعــادة النظر في السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي ، فالزعيم السوفيتي نتيجة لأوضاع محلـيــة واقتصاديـــة متردية وغياب تام للحرية الفردية بدأ مرحلة من التطوير البطيء في هيكلـيــة السياسة الخارجية والداخلية لبلده ، ذلك التحول بدأ بهدم السياسة القديمة، والـمـبـنية على دعم حركات التحرر من أجل نصرة الصراع الطبقي والتصدي للإمبريالية، واستبدالها بـنـظــريـــة الـوفـــاق الدولي والتعاون الاقتصادي خصوصاً مع الولايات المتحدة الأمريكية وإيجابية هذه النظريـــة الجديدة تتلخص في تقليل الدعم المادي للحركات الثورية وإعادة استخدامه ضمن مشاريع اقتصادية داخل الاتحاد السوفييتي من أجل دفع عجلة التنمية التي يحتاجها بصورة مـاســـة. إضافة إلى ذلك فإن الاتحاد السوفيتي لم يعد يرى نفعاً في التسابق مع الولايات المتحدة الأمريكية،لأن من شأن هذا التسابق أن يلحق الضرر بالطرفين وأن يهدد أمن العالم في لحظة ما ، لذلك رأى الاتحــاد السوفيتي في الاعتماد على منظمة الأمم المتحدة مدخلاً إيجابياً ومهماً في تطوير العلاقـات الدولية وتوظيفها في خدمة السلام العالمي ، وهكذا فإن الاتحاد السوفييتي بسياسته الجـديـــدة قد تخلى عن نظرية الدمار المتبادلة لمصلحة إحلال التعاون والتبادل الاقتصادي بين الدولتين العظميين كبديل واقعي ومنطقي. هذا التفكير قد لخصه المحلل للعلاقات الدولية "ولـنــدر" في مقالة عن الاتحاد السوفيتي حيث قال: "الدول العظمى لا يمكن أن تحمي أمنها عن طريقة المواجهة ، لأن أية محاولة إلحاق الضرر بأي منها سيدفع الآخر إلى

الرد، وهكـــــذا فإن الحرب تصبح حقيقة. لذلك فإن حالة التصعيد المستمرة والبحث المتبادل عن إلحـــــاق الهزيمة بالآخر سيؤديان إلى نقل الصراع من حرب غير مباشرة إلى حرب مباشرة بين طـرفـين لم يختاراها طائعين".
وهكذا فالاتحاد السوفيتي ، يكون قد تخلى عن سياسته القديمة تماماً ، ولا عجب إذن أن نـجـــد كاتباً في صحيفة "إزفستيا" السوفياتية مقرباً من الرئيس غورباتشوف يقول: "من الممكن جداً أن توجد حالة يضحي بها الاتحاد السوفييتي بمبدأ الصراع الطبقي من أجل مصلحة أعم وأشمل ". وما يقصده بتلك المصلحة هو زيادة التعاون الاقتصادي مع الولايات المتحـــــدة الأمريكية والدول الغربية من أجل الحصول على مساعدات اقتصادية لدعم الاقتصاد السوفيتي المنهار.
هذا الـتـحــــول الهائل في سياسة الاتحاد السوفييتي لم يقابله أبداً حدوث أي تغيير في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق ، فالولايات المتحدة لم تتخل مطلقاً عن تفـكــيـرهـا القديم الهادف إلى تقزيم النفوذ السوفييتي في العالم على الصعيدين الأيديولوجي والعـسـكــــري.
فعلى الصعيد الأيديولوجي توجته أمريكا بانهيار النظرية الماركسية والتي اعترف بها قادة الاتحاد السوفيتي أنفسهم. أما على الصعيد العسكري فقد اغتنمت الولايات المتحدة الفرصة ووظفتها لتقوية نفوذها السياسي عبر السيطرة العسكرية، وتوظـيــف الطاقة العسكرية هو ناتج طبيعي للسياسة الأمريكية التي أصابتها أيضاً بوادر الضعف والانحسار.
فأمريكا بـعـد عقود من الزمن قضتها في التصدي للشيوعية أصبحت دولة منهكة اقتصادياً مما أجبرها عـلـى التراجع في ميادين المنافسة الاقتصادية التي هي عنصر هام من عناصر القيادة العالمية. فالولايات المتحدة التي تصاعد نجمها بعد الحرب العالمية الثانية تميزت بنمو اقتصادي ســـــريع انعكس في زيادة فائض كبير في رأس المال استطاعت أن توظفه في أوربا عبر مشروع مارشال الذي بلغ حوالي 13-15مليار وأن تمول به حلف شمال الأطلسي لمواجهة الاتحاد الـسـوفـيـيـتـي. إلا أن النجـــم الأمريكي لم يتسن له أن يستمر في التطور الاقتصادي السريع نتيجة ظهور قوى اقتصاديـــــــة أخرى حدَّت من التقدم الاقتصادي الأمريكي. ففي الفترة الممتدة بين عامي 1945-1958 استطاعت أوربا الغربية واليابان أن تظهر بقوة على الساحة الاقتصادية ، مما أثر بشكــل بالغ على الناتج الإجمالي للاقتصاد الأمريكي من إجمالي الناتج العالمي حيث تدهور من نـسـبــة 27% عام1950 إلى 18% عام 1984
فالـتــردي الاقتصادي أجبر الرئيس الأمريكي نيكسون في فترة السبعينات وبالتحديد عام 1971 وبقرار منفرد ودون الرجوع إلى صندوق النقد الدولي إلى وقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب حسب اتفاق بريتون وودز لأن

استمرار هذا التعهد سيؤدي في النهاية إلى فقدان الولايـــــات المتحدة الأمريكية رصيدها من الذهب وبانتهاء عصر "بريتون وودز" فقدت الولايات المتحدة الأمريكية سلطتها في مجال النقد الدولي إذ أن معظم التحويلات النقدية بدأت تتم خارج صندوق النقد الدولي الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا انـقـلـبـت المعادلة فأصبحت الولايات المتحدة مع مرور الوقت دولة مدينة بدل أن تكون دائنة. فحسب الإحصاءات الرسمية والموثوقة فإن ديون الولايات المتحدة قفزت من 112 مليار عام 1985 إلى 263.6مليار دولار عام 1986.

ومما زاد أزمة الـــولايات المتحدة الأمريكية سوءاً مبادرة الرئيس غورباتشوف القائمة على نزع فـتـيـل التفـجـيـر مـمـــا أدى إلى تقليل الدور العسكري الأمريكي لدى الدول الغربـيـة واليابان، إضافة إلى ذلك فـــإن عـامـل الانفجار الدولي أدى إلى تخفيض الاتفاق العسكـري الأمريكي مما هدد قطاع الصناعة العسكري الذي يلعب دوراً هاماً في عجلة الاقتصاد. هــذا العامل من الأهمية بمكان إذ أن تخفيض الإنفاق العسكري سيؤدي إلى خلق نسبة عالية من البطالة في قطاع الصناعة الحربية مما ينعكس سلباً على الوضع الاقتصادي والسياسي.

هذه المعطيات المتمثلة بتخلي الاتـحـــــــــاد السوفييتي عن سياسته القديمة والصعوبـات الاقتصادية التي تمر بها الولايات المتحدة الأمريكية دفعت الأخيرة إلى التركيز على الـدور العسكري من أجل تثبيت هيمنتها والتأكد من اندحار النظرية الماركسية من أجل تـكـريـس دورها في صناعة نظام جديد تستطيع من خلاله أن تتخطى الصعوبات الاقتصادية، وتتابع دورها في العالم ، وقد تسنى لها أن تحقق ذلك الحلم عبر ما يعرف بأزمة الخليج.

يتبع

الأزمة الحالية في يوغوسلافيا

مازن عبد الله

عام 1918 كان عام ظهور يوغوسلافيا إلى الوجود. لقد بدأت يوغوسلافيا حينذاك رحلتها السياسية باتباع نظام ملكي، وكانت مؤلفة من ثلاثة عناصر أساسية، هي العنصر الصربي، الـعـنـصـــر الكرواتي والعنصر السلوفيني. لقد بقيت يوغوسلافيا تحت النظام الملكي حتى نشوب الحرب العالمية الثانية حيث انهارت تلك المملكة "الصربو - كرواتية - سلوفينية" .. ولـكـن إبان الحرب ، جاء الجنرال جوزيف تيتو ليقود حركة التحرير الشعبية ويحرر البلاد من الاحتلال ويعيد بناءها حسب نظام فيدرالي مختلف تماماً عن سابقه ، تحت اسم اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية الاشتراكية.

إن النظام السياسي المتبع في يوغوسلافيا منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الآن ، هو نظام فيدرالي يضم اتحاداً لست جمهوريات هي جمهورية صربيا، جمهورية كرواتيا، جمهورية سلوفينيا، جـمـهـوريــة البوسنة والهرسك، جمهورية مكدونيا وجمهورية الجبل الأسود، بالإضافة إلى إقليمي كوسوفو وفويفودينا اللذين يتمتعان بحكم ذاتي واستقلال إداري..
لقد بهرنا سابقاً بأن الزعيم الـيـوغــوسـلافي جوزيف تـيـتـو استطاع أن ينهض بالبلاد إبان الحرب العالمية الثانية ، ويجمع كل الجمهوريات اليوغوســــلافية تحت صيغة اتحادية فيدرالية ، فاجتمعت البلاد وتوحدت في ظل النظام الاشتراكي الـجـديـد، ولـكـن التركيبة الاجتماعية لـلـبـــلاد بقيت على حالها التي كانت عليها قبل الاتحاد ولم تتغير. وتـلـك الـتـركـيـبـــة الهشة التي صمدت تحت الحكم الاشتراكي 45 سنة ، كانت نقطة الضعف الرئيسية التي رافقت البلاد طوال تلك الفترة ، وكانت الأرضية الأساسية لأي خطر ممكن أن يهدد الاتحاد الـيـوغــوســـلافي في أي وقــت؛ فالجمهوريات اليوغوسلافية عبارة عن تجمعات لعدة قوميات وديانات مختلفة؛ فجمهوريتا الصرب والجبل الأسود معظم سكانها من الأرثوذكس ، وجمهوريتا كرواتيا وسلوفينيا معظم سكانها من الكاثوليك، أما جمهورية البوسنة والهرسك فأغلبية السكان من المسلمين..
لقد انتهت الحرب الباردة بسقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، ومــع سـقـــوط النظام الشيوعي في عقر داره ، بدأت الأنظمة الشيوعية تنهار في الخارج. الواحد تـلــــو الآخـــر ، وسقط النظام الشيوعي في يوغوسلافيا. وما إن سقط النظام الشيوعي حتى بدأت الأصابع الأمريكية بالتدخل. مستغلة الحدث الذي لم تكن بعيدة عنه...فلقد ذكرت بعض المصادر أنـــه قـبـيـل الـبـدء بالانتخابات الـعـامـــة والرئاسية والمحلية في الجمهوريات اليوغوسلافية مؤخراً ، فوجئ الرأي العام بإصدار وزارة الـخــارجـيــــة الأمريكية وثيقة تضمنت اثني عشر شرطاً على اليوغوسلافيين أن يلتزموا بها في انتخاباتـهـــم حتى تكون النتائج مقبولة من قبل الولايات المتحدة، فتوافق فيما بعد على تقديم مساعدات اقتصادية. لقد استنكر اليوغوسلافيون واعترضوا على هذا التدخل السافر في شؤونهم الداخلية ، ولكن ضعف حيلتهم جعلهم يرضخون في نهاية الأمـــر. وجــرت الانتخابات تحـــت الـرقـابـة الأمريكية المباشرة ، فكانت النتيجة فوزاً كاسحاً للأحزاب الليبيرالية ، اليمينية المتطرفة، والقــومية المتعصبة. فلقد أسفرت الانتخابات في كرواتيا وسلوفينيا عن تأييد كاسح من قبل المواطـنـيـن لإعلان الاستقلال والسيادة الكاملة. فأقامتا فعلاً جميع مؤسساتهما الديمقراطية والتمثيلية، وأكملتا أيضاً الانتقال الاقتصادي من المركزية إلى السوق الحرة. ففي سلوفينيا ، فاز تحالف أقصى اليمين المنضوية في إطار جبهة ديموس وسيطر

على الأغلبية الساحقة في البرلمان وعلى رئاسة الدولة ، ورئاسة الحكومة وأعضائها. وفي كرواتيا ، فاز أيضاً تحالف أحزاب أقصى اليمين بزعامة الرئيس الحالي للجمهورية "فراينو توجمان" الذي يرأس أيضاً الحزب الليبرالي الكرواتي الحر ، أما على صعيد صربيا (أكبر وأهم الجمهوريات) ، فلقد فاز فيها الحـــزب الاشتراكي (الشيوعي سابقاً) بالأغلبية المطلقة في البرلمان كما فاز زعيم الحزب، رئيس الدولة "سلوبودان ميلوسيفيتش" في انتخابات رئاسة الجمهورية.
لقد أتـت نـتـائـج الانتخابات هـــذه لـتـشـكـــل تصـعـيداً في المواجهة بين الجمهوريات اليوغوسلافية وخاصة بين صربيا وبين الجمهوريتين كرواتـيــــا وسـلـوفـيـنـيـا. فـهـاتان الجمهوريتان ذات الأغلبية الكاثوليكية ، تدعوان وتعملان على قيام جمهوريات مستقلة، ذات سيادة كاملة وفق الحدود التي رسمها تيتو في دستور 1974 ، مع الاعتراف بحقوق الأقليات في كل جمهورية وقيام دولة كونفدرالية يوغوسلافية تشبه الدولة الأوربية الموحد التي ستقوم عام 1992. أما جمهورية الصرب ، ذات الأغلبية الأرثوذوكسية ، فتعتبر المعقل الرئيسي للخط المتشدد في يوغوسلافية الذي يعارض التوجه نحو تحويل الاتحاد بين الجمهوريات الست والإقليمين المتمتعين بالحكم الذاتي ، إلي كونفدرالية من دول ذات سيادة، كما يعارض بشدة التحول من الخط الاشتراكي المتميز الذي عرفت به يوغوسلافيا، إلى الخط الرأسمالي، ويدعو إلى الإبقاء على النظام الفيدرالي وإعطاء صلاحيات أوسع لصربيا باعتبارها الكبرى، وإعـــــادة توزيع الثروات والمصالح بما يتفق وتضحيات صربيا وتحسين مـسـتـويــــــات المعيشة في الجمهوريات الفقيرة. أما بالنسبة للجمهوريات الثلاث الباقية، فجمهورية الجبل الأسود تؤيد المشروع الصربي تأييداً تاماً ، وتتحالف مكدونيا مرحلياً مع صربيا لكنها تـدعــــــــو للحوار لإيجاد صيغة وسطى بين الفيدرالية والكونفدرالية ، أما جمهورية البوسنة والهرسك فتقف على الحياد بسبب موقعها الجغرافي الخطير بين صربيا والشمال وتكوين سكانها الـعــرقي الفسيفسائي الذي يضم أقليات متقاربة العدد من جميع شعوب يوغوسلافيا ، وتؤيد هذه الجمهورية مشروع اتباع القومية الإسلامية الذين يشكلون أكبر أقليات الجمهورية والذين يدعون للمحافظة على وحدة يوغوسلافيا وإقامة نظام أقرب إلى الصيغة التي يطرحها رئـيـس الحـكــــومة "ماركوفيتش" ولكنهم يركزون على استقلال البوسنة والهرسك في حال انهيار يوغوسلافيا ويرفضون اقتسام الجمهورية بين دولة صربيا والدولة الشمالية. (تجدر الإشارة هنا بأن مـشــروع الوزراء أنتي ماركوفيتش ، الذي يستند إلى حركة سياسية أنشأها مؤخراً وتضم المثقفين والعقلاء من كل الجمهوريات الداعيين لنبذ التطرف القومي والتعصب العرقي والديني ، يدعو لإلغاء الحدود نهائياً بين الجمهوريات وتطبيق نظام ديمقراطي على جميع

المواطنين والـمـســـاواة واحترام حقوق الإنسان بصرف النظر عن العقيدة والقومية).
لـقـــــد دخلت يوغوسلافيا خلال الأسابيع القليلة الماضية في نفق مظلم ، والحالة الأمنية والـسـيـاســيــة والاقـتـصـادية في البلاد في تردٍ مستمر.
فعلى الصعيد الاقتصادي يذكر أن يوغوسلافيا تعاني حالياً مـن مـعـــــــدل تضخم سنوي نحو 120 في المائة. ويتدنى الإنتاج الصناعي فيما يهدد العمال بتنظيم إضرابات عامة. ويبلغ مجموع الديون الخارجية المترتبة على يوغوسلافيا 18بليون دولار..
وعـلـى الـصـعـيـد الـسـياسي ، فالعلاقات بين الجمهوريات اليوغوسلافية تتدهور باستمرار والمؤسسات القوانين الفـيـدرالية تنهار وتخترق على نحو يدفع البلاد إلى مزيد من انبعاث مشاعر التعصب القومي والـتـطـــــــرف المصحوب بالعنف..أما على الصعيد الأمني فعقب النزعات المستمرة بين كرواتيا وصربيا ، أخذت الأمور تتفاقم حتى بدأت الصدامات التي كانت الأسوأ في مدينة باكاراتش فـي كرواتيا. فلقد اندلعت الاضطرابات عندما اقتحمت قوات الشرطة الخاصة الكرواتية باكـاراتــش فـي 2/3/91. إثــر إعلان القوميين الصرب استقلال المدينة عن الحكم الكرواتي واستلائهم على المركز الرئـيـســـي للشرطة. وكانت الصدامات عنيفة ، حدثت خلالها عمليات إطلاق نار متبادلة أسفرت على عدة إصابات بين الطرفين مما اضطر الجيش إلى التدخل ونشر قواته ودباباته في الشــوارع الرئيسية في المدينة ، من دون أن تحصل أي مواجهة بينه وبين قوات الشرطة الخاصة الكرواتية التي سـحـبـت قسماً من قواتها من المدينة بعد أن خف التوتر فيها. ونذكر هــنـا أن المجلـس الرئاسـي الـيـوغـوســلافـي كـــــان قد أصدر إنذاره إلى جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا في 1/9/1991ممهلاً إياهما عشرة أيام لحل كل التنظيمات المسلحة فيهما ، ومن ضمنها قوات الشرطة الخاصة ، أو مواجهة تحرك من الجيش اليوغوسلافي لتنفيذ ذلك بالقوة. ولكن المهلة انتهت ، فمددت فانتهت ولم يحصل شيء. لقد نزح نتيجة لتلك الصدامات أكثر من خمسة آلاف صربي معظمهم من النساء والأطفال ، ولجأوا إلى صربيا وإقليم فويفودينا. ويخشى الصرب الآن الذين يشكلون أحد عشر في المائة من سكان كرواتيا البالغ عددهم ة 44 مليون نسمة ، تكرار مجازر الحرب العالمية الثانية التي ارتكبها الكرواتيون بحقهم.
لقد دامت الاضطرابات في كرواتيا ثلاثة أيام ، بدأت الحياة بعدها تعود ببطئ إلى طبيعتها ، ولكن بعد أربعة أيام فقط من انتهائها عادت الاضطرابات والصدامات لتنفجر من جديد ، ولكن مع انتقال الكرة هذه المرة من الملعب الكرواتي إلى الملعب الصربي. ففي 9/3/91 انفجر الوضع الأمني في بلغراد ، عاصمة صربيا ، عندما وقعت اشتباكات عنيفة بين شرطة مكافحة الشغب

وعشرات الألوف من المحتجين المناهضين للشيوعية ، أسفرت عن مصرع شخصين على الأقـــل أحدهما من الشرطة وإصابة ما لا يقل عن 75 بجروح. ولقد امـتـدت الاشـتـبـاكـــات إلى مناطق عدة في العاصمة، وأسفرت عن إحراق عدد كبير من السيارات وتحطيم نوافذ مـــئــات المتاجر ، وعلى أثر تلك الاشتباكات ، تدخل الجيش اليوغوسلافي وأنزل دباباته إلى شوارع المدينة ، معززة بعدة آلاف من أفراد شرطة مكافحة الشغب ، واستطاع أن يسيطر على الوضع ، وأعاد الهدوء إلى المدينة ، ولكن لم تمضي 24 ساعة على تدخل الجيش وإعادة الأمور إلى طبيعتها، حتى جاء قرار من المجلس الرئاسي بسحب الجـيــش، وتـم سـحـبــه فــعــلاً من شوارع المدينة في وقت متقدم من ليلة الأحد 10/3/91 وفي اليوم التالي لانسحاب الجيش تجددت الصدامات بين الشرطة والمتظاهرين المعادين للشيوعية مما أدى إلى المزيد من الأضرار. ومع بزوغ فجر الثلاثاء 12/3/91 انسحبت وحدات شرطة مكافحة الشغب وسمح للمتظاهرين بالتجمع في الـســـاحة المركزية للمدينة التي تدفقت إليها عشرات الألوف من المتظاهرين الذين راحوا يهتفون ضد الحزب الاشــتــراكي الحاكم وضد الشيوعية.. لقد شكلت تلك التظاهرات الضخمة ضربة قــويـــة للسلطة الـصــربية التي وجدت نفسها مضطرة إلى الرضوخ لبعض مطالب المعارضة والإفراج عن زعيمها الذي كانت قد اعتقلته منذ أيام..إن الوضع الأمني في جمهورية الصرب حالياً متوتر جداً ، والأجواء المشحونة والاضطرابات ما زالت على حالها ، ويبدو أن الكرة التي استطاعت الـقـــــوى التحررية الديمقراطية أن تقذفها إلى الملعب الصربي ، ما زالت هناك وستبقى ، حيث إن اللعبة التي لعبتها تلك القوى كانت موفقة وناجحة وذلك طبعاً بفضل ضغوطات القوى الخارجية وخاصة الأمريكية. فالمراقب للتطورات الدولية ، يرى جلياً بأن الأحداث والاضـطـــرابات التي اندلعت في الفترة الأخيرة في يوغوسلافيا ، لم تبدأ إلا بعد انتهاء أزمة الخليج التي كانت المطابخ الأمريكية مشغولة بها...

أخيراً ، فإن الساحـــة الدولية الآن ، ومع انتهاء حرب الخليج ، تشهد تغييرات جذرية وخاصة على الصعيد السياسي حيث إن المعركة بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي اللذين ولدا في نفس المطبخ مع نهاية القرن التاسع عـشـــر في أوروبـــــا؛ انتهت لمصلحة النظام الرأسمالي. وعلى هذا الأساس فيبدو أن المعركة في يوغــوســـلافيا الآن ، وكـمـــا حسمت في غيرها من دول أوربا الشرقية ، سوف تحسم لمصلحة القوى الرأسمالية والتحررية... السؤال المتبقي الآن ، هو عن كيفية حسم تلك المعركة ، وان كان الحل السلمي هو المرجح فهل بناء دولة كونفدرالية جديدة سيكون البديل عن الفيدرالية القديمة؟ وما هــــو مصير الجمهوريات الصغيرة والأقليات القومية وخاصة الإسلامية في هذه الحال؟

هل تضرب إسرائيل المفاعل النووي الباكستاني؟

عدنان محمد عبد الرزاق

نسأل الله تـعـالى ألا نكون عن عدونا غافلين ولا نكون كذلك من المهولين ، فقد ذاق العرب ســابــقـــاً وبال أمرهم إذ كانوا من الغافلين والمستهينين بقدرة عدوهم ، وبعد ذلك انقلبوا مـهـولين خـائـفـيــن من قوته وهذا ما أراده العدو لهم بل ما أرادوه لأنفسهم. والحقيقة أن إسرائيل تخطط وتعمل ليل نهار وتنفذ بالوقت المناسب ، وما عملية ضرب المفاعل النووي العراقي وقصر المنظمة في تونس وإنقاذ الرهائن في عنتيبي (أوغندا).

والــذي لا بـد من قوله: أن الإستراتيجية الـغـــربـيـة (إنكلترا سابقاً وأمريكا لاحقاً) حين ساعدوا إسرائيل في البناء ساعدتها لتكون جزءاً مـنـهـا فأي اعتداء على إسرائيل أو تهديد لن ترضى عنه دول الغرب والعكس كذلك ، وهذا الربط يـقـودنا إلى السعي الجاد والمستمر الذي تسعاه أمريكا للضغط على باكستان من أجل إيقاف أو تـأخــيـــر أو إفشال برنامجها النووي.. لماذا تلهث أمريكا وراء ذلك وهي الساكتة عن برامج الهند الـنـوويـة وإسرائيل؟ وهذا لا يخفى على أحد من أن الخوف أشد الخوف من أن يتمكن الباكستان من صنع تلك القنبلة والتي يمكن أن تهدد أمن إسرائيل بشكل أو بأخر.

والباكستان وإن كانت عن الإستراتيجية الغربية ليست بعيدة ، إلا أنها عن استراتيجيتها وهواجسها الخاصة وتاريخها ومستقبلها في المنطقة يفرض عليها أن تكون قوة متوازنة مع أعدائها وفي مقدمتهم الهند.

هذا ما يفسر لنا أن من أهم أسباب دعم الباكستان للمجاهدين الأفغان لعل أفغانستان تصبح عمقاً استراتيجياً لباكستان إزاء الهند وهذا ما لا ترضاه أمريكا وكان من نقاط الخلاف مع القادة البكستانيين ابتداء من ضياء الحق حتى اليوم.

وأمريكا وإن كانت تدرك تماماً ظـــــــروف باكستان ولا تذهب مذهب إسرائيل من أن هذه القنبلة سوف تهدد أمن إسرائيل إلا أنها "أمريكا" تخشى أن يفلت الأمر من يدها وهذا ما نشهد بداياته الآن؛ فأمريكا التي كانت تحتضن الباكستان وتدعمه وتؤدبه عند الغرور فقد عجزت رغم كل ثقلها عن إنجاح بي نظير بوتو لتفوز كرئيسة للوزراء ، والبكستانيون وإن كانوا من أقل الشعوب تأثراً بالأحداث الـتـي تــدور فـي الـعــالم اليوم إلا أن رياح التغيير لامست وجوههم فأفرزت الانتخابات الأخيرة التي توقع لها الـشـعـــب أن تـضـع حلولاً لمـشــــاكلهم المستعصية وثار غضب أمريكا وخشيت أن يتسلل للسلطة بعض الإسلامـيـيـن وحذرت إن لم توقف الباكستان برنامجها النووي فسوف

تقطع عنها المساعدات ولكن كما ذكرنا ســـابـقـــاً هذا موضوع غير قابل للنقاش وفعلاً قطعت أمريكا مساعداتها العسكرية والغذائية وبدأت فـي بـاكـسـتـان مــرحـلـــة ضائقة اقتصادية خانقة حبست الحكومة في اعتباراتها الأولى وهو بداية الأزمات التي تخطط لها أمريكا وحلفاؤها ومع تشابك الخيوط في الخليج وما حوله ومع فشل محاولات الـضـغـــط الأمريكية على باكستان يصبح الخيار العسكري والذي كانت تطالب به إسرائيل قائماً وهــــو ضرب المفاعل النووي الباكستاني والذي قد خطط له سابقاً بمعاونة فنية من الهند والتي كانت تدعو إسرائيل له وهذا الأمر لن يفاجئ باكستان إذ أنها هددت إسرائيل سابقاً من أنـهـــا سترد رداً مؤلماً ولكن المضحك المبكي أن تهدد باكستان (120 مليون نسمة) وعلى بعد آلاف الأميال من إسرائيل وتخشاها وتحتج كما تحتج على الحكم الشيوعي في أفغانستان حين تـسـقــط على أراضيها صواريخ سكود ويقتل عشرات الأبرياء إلى متى ذلك أما آن الأوان لكي نُهَدِدْ ولا نُهَدَد ونخـيـف ولا نخاف والرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: »نصرت بالرعب مـسـيـرة شـهــر« فهلا نتبع خطاه وننصر وليس أمام الباكستانيين إذا أرادوا العزة في الدنيا والآخــرة غـيـر تقنين شرع الله فالدنيا الآن تجاهر بكفرها فعلينا أن نجاهر بتطبيق شرع ربنا الـقـــائل ((وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاًّ * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)).

تربية

ملاعبة الأطفال والرأفة بهم

خولة درويش

هؤلاء الأطفال ذوو النفوس الصافية، أحوج الناس إلى الرحمة بهم، والعطف عليهم ، فهم يحسون بحسن المعاملة حسب مداركهم ، ويهتمون بمن يوادهم منذ نعومة أظفارهم.

فـالـلـعـــب حق من حقوق الصغار، وهو رمز لحيويتهم ونشاطهم، ويرى (فروبل) أن الطفل الذي يـلـعـب بـنـشـاط ، ولا ينفك يلعب حتى يصيبه الإجهاد فيكف؛ هذا الطفل سيكون في مستـقـبل حياته شخصاً ذا إرادة وعزيمة يكافح ويستميت في النضال لخيره وخير غيره (1)..

وكان الرســـول -صلى الله عليه وسلم- يداعب الأطفال ، ويرأف بهم ويحسن ملاعبتهم ومن ذلك مواقفه مع أحفاده ومع أبناء الصحابة -رضوان الله عليهم- ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قـــال: "قبّل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر رسول الله إليه ثم قال: »من لا يرحم لا يُرحم«(2).

فالأطفال هم الأطفال ، اللهو وحب اللعب مـــن طبيعتهم ، والإسلام يعطي الطفولة حقها ويراعي الفطرة الإنسانية فلا يكبتها.
عــن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "دخل علي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنا ألـعـــب بالـبـنـات (أي اللعب) فقال:.»ما هذا يا عائشة؟« قلت: خيل سليمان ولها أجنحة فضحك".
كان هذا والسيدة عائشة جارية صغيرة السن ، يراعي رسول الله سنها ودواخلها الفطرية، فـلا ينهرها كما يفعل بعض الجفاة ، ولذا هي بقلبها الكبير النابض بحب الخير ، تصبح مـن أمـهــات المؤمنين اللواتي يتسع عقولهن لمختلف فنون العلم والتي قد يعجز عن مثلها الرجال. فما كان لهو الطفولة سبباً يباعد بينها وبين النبوغ.
وقد جاء في الإصابة أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يداعب الحسن والحسين -رضي الله عنهما- ويمشي على يديه وركبتيه وهما يتعلقان به من الجانبين فيمشي بهما ويقول: »نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما«. وهكذا فمن أهم واجبات المربي ولا سيما الأم أن تلعب مع أطفالها بمرح وحبور بعيداً عن الأنفة والكبر ، يقول معاوية -رضي الله تعالى عنه-: "من كان له صبي فليتصاب له".
ولا يفوتنا أن الغرض من اللعب ليس التسلية فقط ولا تمضية الوقت وبعثرته وإنما نهدف إضافة إلى الترويح والتسلية أهدافاً نبيلة مفيدة تجعل اللعب في خدمة المثل ، توجهها الأم الحكيمة الوجهة التي تريدها وترضي ربها.
ففي اللعب التمثيلي يتعلم الأطفال الآداب الإسلامية التي تحرص على تمثلها والعمل بها فيتعلم الأطفال آداب الحديث والزيارة والاستئذان والطعام والشراب ، وفي تمثيل الطبيب تشيع البهجـــــة بين الأم وأطفالها ، ويتعلم الطفل مساعدة المحتاج ، وكذا تمثيل رجل المرور حيث يتعلم آداب السير.
هذا وليست العـبـرة فـي كـثرة الألعاب ، أو غلاء ثمنها.. إن ميزاناً يعمل للطفل من أغطية العلب الفارغة ويبيع فيه في دكـانه له أثر كبير في تنمية خياله وتوجيهه إلى أدب التعامل بما يتناسب مع طفولته.
ومـــن روائع ملاعبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- للأطفال ، أنه مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الصبيان (أي يلعب لعبة البيع) فقال: »اللهم بارك له في بيعه«.
ومع إتـاحـة الفرصة للأطفال في اللعب ، لا يصح أن نمكنهم من الألعاب المحرمة حتى لا يعتادوها: "مــر ابـن ســيـرين على غلمان يوم العيد بالمربد وهم يتقامرون بالجوز فقال: يا غلمان لا تقامروا فإن القمار من الميسر".
وفي اللعب الجماعي وانتظار الدور يتعلم الأطفال الصبر واحترام رغبات الغير ، والبعد عن العزلة والحرية المنضبطة ، والابتعاد عن الخطر ، وتعلم وسائل الأمن والسلامة والبعد عن الأنانية.

كـمــا يزداد محصول الطفل اللغوي ونموه العقلي إذ يتفتح ذهنه في كل لحظة على جديد، ويتعلم الطاعة وفن القيادة ، ونصرة المظلوم.

توجيهات أثناء اللعب:

يحسن بالمربي أن يعامل الأطفال خلال ألعابهم حسب القوى التالية:

1- عدم التدخل في شأن الطفل أثناء انصرافه إلى اللعب إلا إذا استلزم نظام طعامه أو نومه ذلك ، أو إذا تعرض الطفل للخطر. على أن نكون مستعدين لتشجيعه وتقدير أعماله وتقديم العون له إذا طلبه إلينا فقط.

2- أن نتقبل الفكرة أو الخطة التي يرسمها الصغار للعبهم ، ولا نفرضها عليهم، من أجل استفادتهم وللوقوف على أسلوبهم في التفكير وهكذا نستطيع أن نوجه نشاطهم فـي لـبـاقة تبعد بهم عن الفوضى والعبث.

3- مشاركة الطفل بين حين وآخر في لعبه تعليماً له وتفريحاً .

4- لا يعطى الأطفال لعباً كثيرة دفعة واحدة حتى لا يزهدوا فيها جميعاً أو يعبثوا بها.

5- الـمـــوازنة بين اللعب الجماعي والفردي لإبعاد الطفل عن الانطواء ، وتعليمه أسلوب التعامل مع الغير واحتمال الأذى والتعرف على وجهة النظر المخالفة

6- اللعبة الـجـيـدة هـي التي يستطيع الـطـفــل أن يستخدمها بأوجه مختلفة وتندمج مع تصوراته الخيالية ، أما اللعب الميكانيكية فهـي قليلة الأهمية في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة لأنها تثير الخوف في نفس الرضيع ولا تترك له شيئاً حتى يعمله بنفسه.

وليست العبرة في غلاء اللعبة وارتفاع ثمنها فـقــد يعزف الطفل عنها ليلعب بكرتونة فارغة أو نحوها، وقد تتصرف الأم بالألعاب القديمة فتجعل فيها حركة وحيوية تثير فرح الطفل وتسعده أكــثــر بكثير من الألعاب ذات الثمن المرتفع. وهكذا بالإمكان أن يعيش الأطفال في أجواء مريحة منشطة ومفيدة دون تكاليف تذكر.

7- مراعاة الأمن في اللعب وعدم إرهاق حسه بكثرة التعب فيه، وكذا عدم اللعب في الليالي عند العشاء فعن جابر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قــال: »كـفـــوا صبيانكم عند العشاء فإن للجن انتشاراً أو خطفة«(3).

الهوامش:

1- تربية الطفل قبل المدرسة ص 259 سعد مرسي كجك /كوثر كوجك.

2- متفق على صحته / شرح السنة 13/ص 34.

3- رواه البخاري في (الأدب المفرد).

أم سليم بنت ملحان

مؤمنة الشلبي

أنــصــاريــة خزرجية من بني النجار، تسمى الرميصاء، وهي غصن نضر من شجرة طيبة المنبت ، فــأخـوها حـــرام بن ملحان أحد القراء السبعين الذين غدر بهم المشركون في بئر معونة فقال قولته المؤمـنة: فزت ورب الكعبة.
وأختها أم حرام شهيدة الـبـحـر ، وابنها أنس بن مالك خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أما هي فقد بشرها رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجنة حين قال: »دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الرميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك«.
وقد كانت الرميصاء -رضي الله- عـنـهـــا تمتاز برزانة وذكاء نادرين ، وخلق كريم. ومن أجل هذه الصفات العظيمة سارع أبو طـلـحـــة رجل الغنى والسؤدد إلى خطبتها بعد وفاة زوجها مالك بن النضر "والد أنس" وعرض عـلـيها من المهر ما لا تحلم به بنات جنسها ، إلا أن المفاجأة أذهلته بعد أن رفضته -رضي الله عنها- بعزة المؤمنة وكبريائها وهي تقول له: "والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد ولكنك رجـــل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك ، إلا أن تسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره ، وكان لأم سليم ما أرادت وهدى الله على يديها أبا طلحة وكان صداقها الإسلام رضي الله عنها.

الموقف:

إن القلم ليحار عند اختيار موقف متـمـيـز لأم سليم -رضي الله عنها- ، ، فحياتها كلها مواقف متميزة تستحق أن تكون نموذجاً طـيـبـاً لكل امرأة مسلمة. وبعد تردد وقع الاختيار على الموقف التالي:
تذكر كتب السيرة أن ابناً لأم سليم واسمه أبو عمير مرض ، وشغل الأبوين به فكان أبوه أبو طلحة إذا عاد من السوق سأل عن صحته ولا يطمئن حتى يراه.
وخرج أبو طلحة مرة إلى المسجد فمات الصبي ، فهيأت أم سليم أمره وقالت: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، وجاء أبو طلحة فتطيبت له وتزينت وتصنعت وجاءت بعشاء ، فقال: ما فعل الصبي؟ فقالت له: هو اسكن ما يكون. فتعشى وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله ، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم فهل لهم أن يمنعوها عنهم؟ فقال: لا قالت: فما تقول إذا شق عليهم أن تطلب هذه العارية بعد أن انتفعوا منها؟ قال: ما أنصفوا ، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله ، فقبضه إليه فاحتسب ابنك. فقال أبو طلحة: تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني بابني! فما زالت تذكره حتى استرجع وحمد الله.
ولما غدا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره بما كان ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »بارك الله لكما في ليلتكما«.

تحليل الموقف:

تأملي معي يا أختاه هذه الأم التي ليست كسائر الأمهات ، كيف ترى صغيرها وفلذة كبدها وهو يذبل كالزهرة ، ويرتعش ارتعاشته الأخيرة كالعصفور الصغير بين يديها ، وهي تنظر إلى وجهه النضير كيف غدا وقد فارقته الحياة وتتفجر في قلبها ينابيع الأسى وتنهمر دموع الشفقة والعطف والرحمة من عينها ، ولكنها -رضي الله عنها- لم تفعل إلا ما يرضي ربها متجهة إليه بالاسترجاع والاستغفار والذكر تبغي في ظلالهما الراحة والصبر والسلوان ، ولم تفعل كما تفعل كل امرأة ثكلى من أمهات الجاهلية الحديثة من النياحة والعويل ولطم الخدود وشق الجيوب.
ولم تسارع كما تفعل نساء اليوم باستدعاء من يأتي بزوجها من عمله ليشاركها مصيبتها فتضيف إليه هماً جديداً إلى جانب ما يكابده ويعانيه من هموم ، ويرتفع صوتها بالندب والعويل كما هي عادة الجاهليتين القديمة والحديثة ليسمعها القرب والبعيد فيأتي لمشاركتها ندبها وعويلها.
أجل.. لم تفعل -رضي الله عنها- شيئاً يغضب الله عز وجل ، وإنما قامت بما تمليه عليها عقيدتها الراسخة تجاه هذا الحدث الجلل ، فقامت إلى صغيرها الغالي فغسلته ثم كفنته وسجته وغطته بعد أن شمته وطبعت على وجنتيه قبلة أم ثكلى أودعتها كل ما تملك من حزن وألم ودموع ، ثم التفتت إلى أهل البيت قائلة: "لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه".
فمن أي طراز هذه المرأة والأم العظيمة؟ وهل تملك الدنيا بأسرها أما مثلها!!
ومن ثم تأملي يا أختاه موقف الزوجة الصابرة وهي تنتظر زوجها بعد أن جففت دموعها وابتلعت أساها خلف ابتسامة مشرقة تصنعتها لتستقبل زوجها كعادتها وتدخل السرور إلى نفسه المليئة بالهموم من خارج البيت ، وعندما يسألها عن حال ابنه تقول بذكاء وفطنة: هو أسكن ما يكون. ويظن الزوج أن ابنه قد عوفي ففرح لذلك.. وما إن كان آخر الليل حتى أخبرته بأمر ابنه دون أن تفجعه أو تفقده ثواب الصابرين وأجرهم.
فبالله عليك يا أختاه من أي طراز هذه المرأة الصالحة التي تحرص على ألا يراها زوجها إلا بأحسن وأجمل صورة حتى في أحلك الظروف وأشدها ، بينما نرى نساءنا وقد أهملن أنفسهن فتستقبل الواحدة منهن زوجها ورائحة المطبخ تفوح منها ، وتظل مرتدية ملابس المطبخ متجاهلة الآداب الزوجية وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة ، فإذا كان هذا حالهن - في سائر الأيام فكيف بهن وقد وقعت المصائب واشتدت.
ومن أي طراز هذه الزوجة الصالحة التي تحرص على أن لا تؤذي زوجها بهموم قد تفقده قوة الإيمان وصلابته وأجر الصابر وثوابه.
فيا فتاة الإسلام هل لك أن تعتبري فتتعظي من مواقف أم سلـيـم رضي الله عنها فتضعينها نصب عينيك وتكوني نموذجاً للفتاة المسلمة التي لا تتباهى

بغـلاء مهر وإنما كل همها قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »إذا جاءكم من ترضون ديـنـه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير«.
وهـل لك أن تكوني يا أختاه نموذجاً للأم حين تفقد ولدها... فالصبر والتجلد عند الصدمة الأولى.
وهل لـك أن تـكـونـي نـمــوذجاً للزوجة الصالحة الوفية الودود التي تسر زوجها إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها ، وتحـفـظــه إذا غاب عنها ، وتهيئ له أسباب الراحة ليستطيع أن يقوم بواجب نشر الدعوة إلى الله تعالى.

بريد القراء

* **الأخ مهدي بن نزال المهدي** أرسل إلينا كلمة يشكو فيها حال أمته ويقول:
الناظر البصير.. والمدقق الجليل في أحوال الأمة الإسلامية - اليوم - وما هي عليه من فتور وضعف.. وعدم إدراك وفهم.. ليجد لذلك أسباباً وأسباباً.. أهمها وقائدها الجهل بواقعها.
ولعل ما حصل في هذا الزمان من فتنة عظـيـمــة وتصرف بعض أفراد الأمة تجاهها والقول فيها ما ليس بصحيح لعل ذلك يوحي بأن الأمـــة وما قيل فيها من جهل وضعف كان هو الصحيح ، ولذلك لابد لخير أفراد الأمة.. الداعـيــة والعالم.. أن يبثا للأمة ما جهلته وما حصل فيها من خطأ وذلك بالبحث في قاموس معرفتـهـمـا وتفسير كل حدث يقع في ساحة الأمة.
* **الأخ عبد الرحمن عبد الله سيف** - أبها أرسل لنا هذه الكلمة:

ماذا يراد منك يا فتاة الإسلام

إن حـقــداً عظيماً ويداً ماكرة تتداعى عليك لتخرجك من عفافك تخرجك من دينك.
مؤامرة دنيئة تدبر لك يا فتاة الإسلام لتمسخك وتعبث بك،إن هناك من ينادي بل ويسعى ويجتهد من أجل هدم صرح الإسلام وذلك من خلال هدم الفـضـيـلـة في قلوب بناتنا وذلك بأساليب مختلفة. هم يريدون مسخ الفطرة وإفساد الأخلاق لتخرجي سـافــرة أمام ناظريهم وذلك من أجل التشكيك في إيمانك وزلزلة عفتك وشرفك ، إنه حقد دفين يـريـد تحـطـيـم المجتمع الإسلامي ويجعلك يا فتاة الإسلام تجرين وراء سراب السعادة الخادعة.

والمــرأة الحسناء تبكي حسنها إن ضاع منها عزها وإباءها
فامضي على درب الرشاد فإنه زاد وللنفس السقيم شفاءها

منتدى القراء

هموم مدعو

أبو خولة

نازعه في مراحل المراهقة نداء الفطرة ونداءات الهوى والصحبة، واستمر النزاع فترة طويلة من الزمن ، وكان بعقليته تلك يتصور أن جميع من في عمره سائرون خلف الهوى والشهوة.
وفي يوم من الأيام وقفت عيناه على شــباب يلتزم بدينه، ويناجي ربه، ويتألم لواقع أمته، جلس معهم وكأنه في حلم وخيال ، أيكونون بهذه الصورة وهم في ذروة سن الصبا! أيكونون بهذه الصورة وهم أمام سيول من الملاهي والمغريات! سبحانك يا رب!
ومـــــــا أن عاش معهم فترة من الزمن حتى تحول قلبه الميت القاسي إلى قلب حي راسخ، وتحول تفـكـيــره في نفسه إلى تفكيره في أمته ، وبدأ يفهم الحياة لأنه يعيش لله ولأمته ولا يعيش لنفسه..
وتيقظ الفتى بعد غفوة وبدأ يعمل ويدعو الناس وهو يؤمل بالفأل القريب ، ويستبشر بالحلم الكبير ، واستمر الفتى على ذلك وهو يترقب الفأل والأمل كيف لا والشباب المتدين أصبح ينتشر ويسود.
وفجأة.. اصطدم حـلـم صـاحـبـنـا بـمـــــا لم يكن بحسبانه ، وتحول فأله السار إلى خيبة وانحسار، عندما أدرك أن الطريق طويل وطـويل ، لا يريد أن يعيش حياة اليأس في أمته، ولا يريد أن يخادع نفسه بما حققته من عز وتمكين، وقـــام يـجـاهــد نفسه ويرغمها على العمل.

الداعية الصدوق وترك الشائعات

أبو موسى المكي

إن الأنظار -إلى الداعية أسرع ، والآذان إليه أسمع ، والخطأ منه أوقع ، والنقد عليه أشد وأوجع ودعوته يجــب أن تـكــون بحاله قبل مقاله ، لذلك فتخلقه بالخلق الكريم أوجب وألزم قياماً بحق ما جـعــل الله على كاهله من الأعباء الجسام ، وحماية للدعوة وأهلها من ألسنة المغرضين وأقلام الخصوم الشانئين وأوهام الغفل المتعجلين.
فنحن بحاجة إلى دعاة يتجملون بالخلق الكريم ، حتى إذا أبصر الناس منهم هذا هتفوا: هذه أخلاق الأنبياء.
فنحن نحتاج إلى نمط من الـدعـــــــــاة آثروا الصدق في أقوالهم وأفعالهم حتى أصبح الصدق سجية تجري في عروقهم وتطل من طلعات وجوههم ، إن صدقنا في حمل دعوتنا هو الذي يجعل الناس يتقبلون ديننا ، يقول عبد الرحمن بن مهدي: "لا يكون الرجل إماماً يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما

سمع" فليس ما سمعه الفرد المسلم كله حقاً ، بل لا بد من أن يتخلله بعض من الروايات الواهية ، فإذا ما حدث بكل ما سمع أصبح ولا بد كاذباً، فعلى الداعية أن يجنب نفسه مواطن الشبه بترك بعض ما سمعه وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »دع ما يريبك إلى ما لا يريبك« ومن ترك ما يريب ترك نشر الشائعات وترك كل خبر إن لم يثبت مأخوذ من وكالة (يقولون) فكم بهم من شائعة قُصِدَ أن يكون مروجـوهـــا الشباب الموسوم بالصلاح ، حتى إذا بان زيفها قالوا: (هؤلاء مروجوها هؤلاء يريدون إثارة الـبـلـبـلة) ، فعلى الداعية ترك ذلك وعدم نشر ما سمع إلا بتيقن وجزم. والداعية لابد أن يكون صادق الكلمة واضح المعنى متجنباً للغموض والتلبيس.

رسالة إلى أهل الحسبة

عبد الرحمن إبراهيم العتل

إلى أولئك الرجال الذين باعوا أنفسهم لله، وسهروا لننام، وتعبوا لنستريح، وأوذوا لنسعد، أوجه هذه الرسالة:

يا باذلين نفوسهم كي نـسـعـدا ... طـوبـى لـكـم ملء القلوب ترددا
نامت جوارحنا وأنتم في الدجى ... عـيـن أبـت أن تـسـتريح وترقدا
جاهـدتـم الأشـرار كل دقـيـقـة ... ودحـرتـم الـشـيطان كي لا يفسدا
فـي كـل حـي غـيـرة يـقـظـانة ... نزعـت فـتـيل الـشر واقتطعت يدا
يا أيها الماضون في ركب الهدى ... يا أيها الساعـون في طلب الردى
يا أنفساً حازت من الرتب العلى ... طـبـعـت على حب المكارم والندى
تقضي النهار مع العلوم تعلّـمـاً ... والـلـيل تحـيـي جانـبـيه تهجُّداً
فطرت على التوحيد جلّت فطرة ... نادى بها الرسل الكرام على المدى
لله درّ فـعـالـكـم يـا إخـوتـي ... جعلت على الميزان لم تذهب سدى

الصفحة الأخيرة

من حسنات هذه الكارثة

عبد القادر حامد

من حـسـنـات هذه الحرب - إن كان لها حسنات - أنه أصبح بالإمكان للكاتب أن يكتب مـنـتـقـداً نـظــام الحكم في العراق بعد أن أصبح ظاهر الضعف تعصف به العواصف ، بعد أن كـان مــن الصعب توجيه كلمة لوم له في العلن ، لا خوفاً منه في كثير من الأحيان؛ بل خوفاً من الروح "التضامنية" التي كانت تربط الأنظمة العربية، وحرجاً من كسر خواطرها. أما الآن فأمام الكتبة فرصة ذهبية ليبدءوا ويعيدوا في إظهار مخازي هذا النظام ، ويجمعوا الصحيح إلى الباطل من الاتهامات.

وقد يبدو مثل هذا العمل دلالة على الجبن وقلة الفروسية حـيث إن "ضرب الميت نذالة"، ولا فائدة من الإنذار بعد وقوع الكارثة! لكن الروح "التضامنية" التي كانت سائدة تـعـطـي هذا الفعل دلالة أخرى قد يكون فيها بعض الفائدة ، فكثير ممن يكتب عن الأنظمة بــعــد سقوطها لا يقصدها هي بعينها فيما يكتب ، وإنما يقصد مثيلاتها من الحالات الراهــنــة، على مبدأ: "إياك أعني واسمعي يا جارة"!

إن مأساة الحرية في عالمنا المنكوب تجعل الإنسان يرضى بالقليل ، وما أجدر الحرية التي نفتقدها بقول جميل في بثينة:

وإنـي لأرضـى مـن بـثـيـنـة بالـذي لـو أبـصره الواشي لقرَّت بلابله
بـلا، وبـأن: لا أسـتـطـيـع، وبالمنى وبالأمـل المرجـوِّ قــد خاب آمله
وبالنـظـرة العجلى وبالحول، تلتقي أواخـره - لا نلـتـقي - وأوائله

تمت بعون الله والحمد لله
